ملحق المحرّر

فلسطين

ملحق المحرر رقم ٤٧٤ الخميس ٢٩ - ١ - ١٩٦٥ فلسطين - العدد ٧

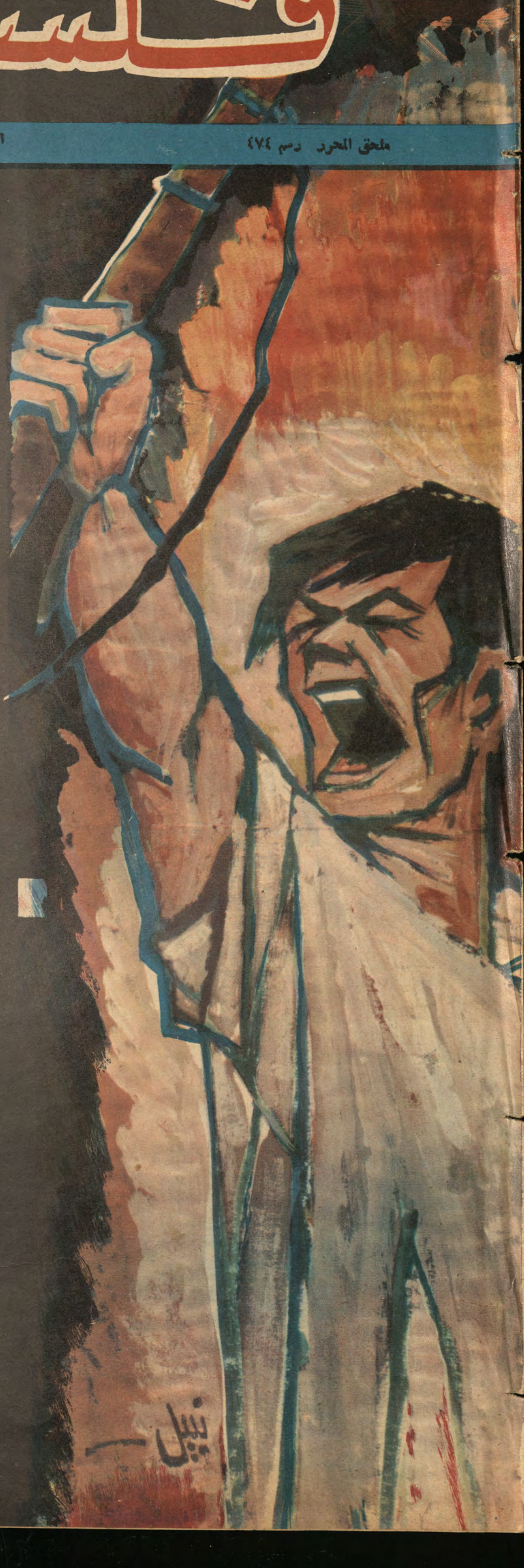

فلسطين تحمل للعرب اول صوت عربي من داخل الارض المحتلة

- «سمينا انفسنا الارض رمزاً للتراث الذي تملكناه كعرب عبر الاجيال»
- .. «ونحن نؤمن بأن العرب في اسرائيل هو جزء لا يتجزأ من الامة العربية»
- «اذا كانت اسرائيل تعتقد انها ستخلق حالة استسلام بيننا فنحن نعلن لها ان هذا شيء لن يتحقق»

وفي هذا العدد ايضا

- فلسطين اليوم - برهان الدجاني
- اسرائيل والفاتيكان - انيس القاسم
- العروس - قصة جريئة - غسان كنفاني
- حروب العصابات
- ومواضيع هامة اخرى

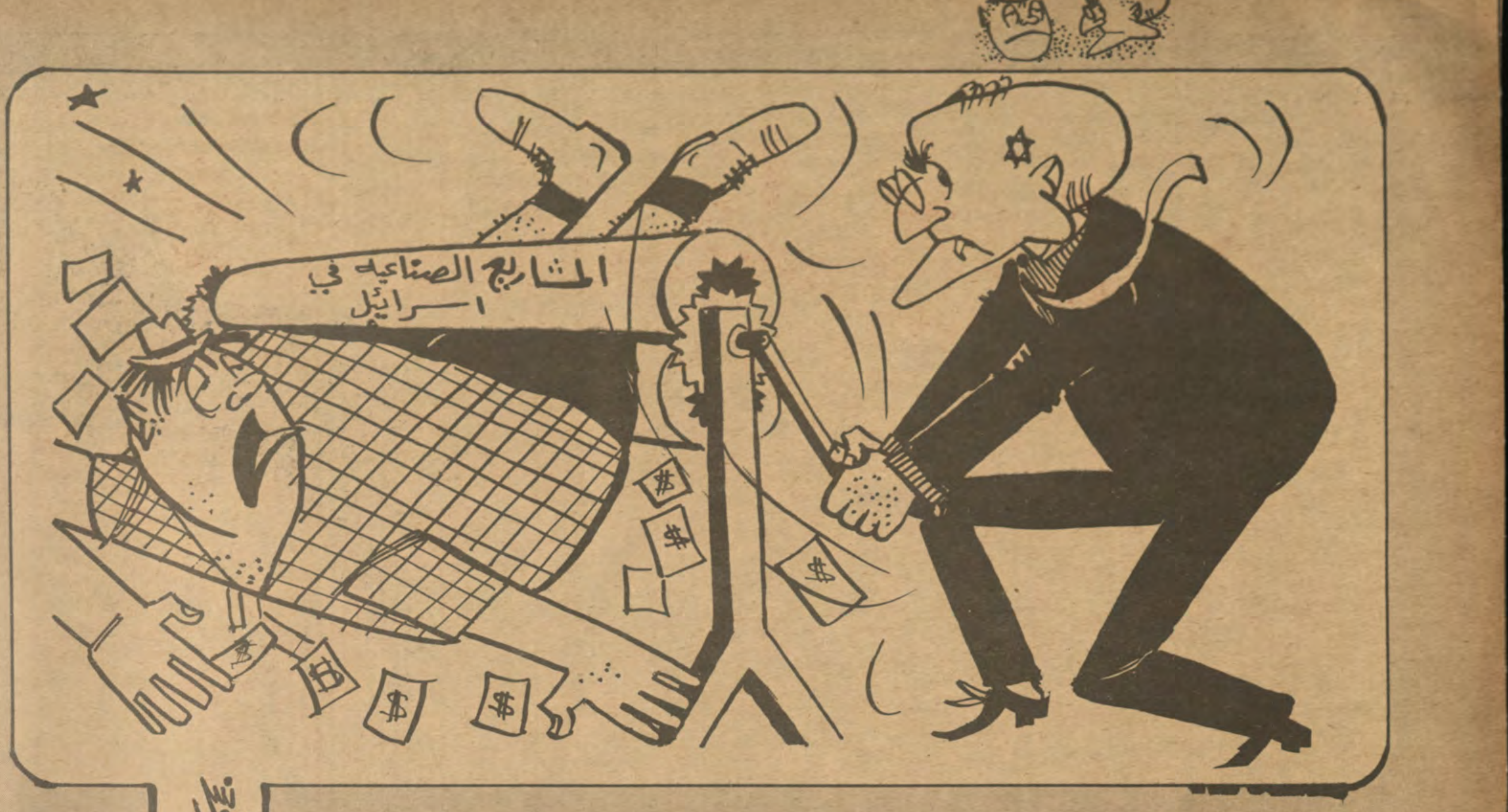

لا حاجة للقول بان هذه الزاوية مفتوحة لكل الاقلام ولكل الاراء ، وهي لا تعبر ، بالطبيعة ، عن وجهة نظر «فلسطين» ، وكذلك فان نشر الرسائل في هذه الزاوية لا يقصد الى تقييمها او الى الغاء اهميتها .

● حسني محمود الرميابي ، مخيم برج البراجنة ، لبنان ، يكتب قصته المؤثرة التي ننشرها فيما يلي كما وردت :

« كنت اعيش في فلسطين في قرية كويكات قضاء عكا بين اهلي وبين اخوتي ويومها كنت تلميذا في المدرسة كان عمري ١٢ سنة ، وكان القتال على اشده بين الشعب الفلسطيني وبين عصابات اليهود والاستعمار الانكليزي وعملاء الاستعمار . كان لي اخوة اثنين في سن شباب : الاول كان عمره ٢٠ سنة وكان عازبا واسمه حسين والثاني كان متزوجا واسمه حسن وعمره ٢٣ سنة وله بنت صغيرة.

كنت اعيش بينهم في عز ورفاهية من خيرات ارضي وكنت مجتهدا في دروسي وكنت املهم الكبير في ان يجعلوا مني شابا مثقفا .

قتل اخي حسين على يد واحد من اصدقائه ولا ماعرف بالضبط اذا كانت خيانة ام قضاء وقدر فحمل اخي الثاني سلاحه وكان متحمسا دائما ليخوض معركة ضد الطامعين المجرمين اليهود دخل مرة الى البيت فوجدني اكتب رسالة لاحفظها عندي عن مقتل اخي حسين فنظر في وجهي وقال اليوم تكتب رسالة عن اخيك حسين وغدا سوف تكتب رسالة ثانية عن اخيك الثاني ومسكني بيده وضمني الى صدره كنت ارى في عينيه النار من العدو المغتصب وكانه يقول لي انت مستقبلي انت الذي سوف تكون ابن هذا الوطن انت الذي سوف تثار لي وبالحقيقة كنت لا اعرف ما معنى هذا الكلام كان كلما خرج من البيت الى المتراس او الى عملية فداء كان يقبلني ويقول لي لا تنسى ان تكتب قصة عني مثلما كتبتها عن اخيك حسين وكنت لا اعرف ماذا يعني في كلامه حتى جاء يوم ١٥ ايار سنة ١٩٤٨ ، وقبل ذلك بـ ٢٠ يوما استشهد اخي الثاني في معركة (قلعة جدين) .

وعندما جاء رفاقه واخبروني ذهبت بسرعة بغير وعي لاراه وقد رايته قبل ان يموت وصلت الى عنده وركعت على قدميه وصرت اقبله وابتي اتذكر ما رايته منه في تلك اللحظة رمع رأسه ليكلمني وكان قد اصيب في رأسه نظر في وجهي ومد يده الى راسي وكانت ساعة الفراق .

هل تعلم ماذا كان يعني ؟ كان يقول لي وهو يبكي والارض تشرب من دمه : « دمائي تنادي بالثار » وكانه دموعي تنادي بان اكون بطلا شهيدا مثله ومن بعد ذلك اليوم المشؤوم دمر اليهود منازلنا ونزحت الى لبنان ومعي ابنته الصغيرة التي عاشت معي وكنت اعاملها مثلما كان اخي يعاملني وكنت انظر اليها فاجدها مثل اخي تناديني بالثار وكانت دائما تناديني يا اخي وعندما صارت كبيرة حدثتها عن كل شيء عن حياة ابوها وعن عمها وعن كل شيء في ارض الوطن وبقيت امها هناك على ارض فلسطين مع اهلها والبنت هنا في لبنان تمكث معي في مخيم برج البراجنة ولا تزال على قيد الحياة انها دائما تناديني بالثار وانا انتظر بفارغ الصبر ان اثار ان اموت على ارض فلسطين لترجع فلسطين عربية حرة كريمة في ظل العلم العربي والوحدة العربية .

يا رب اجعل يوم الثار قريب والنصر دائما للحق والنصر للشهداء الابطال واننا لعائدون الى ارض الوطن انشاء الله .

هذه هي قصتي ارجوكم ان تنشروها في مجلة فلسطين ملحق المحرر والسلام.

● « ابو هيثم » — بيروت كتب يقول :

لا ادري ان كان بالمستطاع ان اعبر ولنا في الكوخ الحقير عن مآسي شعبي ..

من حشرجة موت يتلفظها طفل يتيم ، في مخيم خيم عليه ظلام الرعب .

او انه جريح وهو يستشهد في سفوح جبال الجليل ، هناك في ارض بلادي حيث وطني فلسطين .

او عن تلك النفس السجينة هناك في احدى سجون العصابات الصهيونية لا ادري اين ولكن هو هناك حيث دارت مذابح دير ياسين .

او عن تلك الدماء التي جبلت بها تربة بلادي وبقيت على صخور الجبال تتحداهم ، تتحدى مدافعهم ورشاشاتهم، وبقيت تشعل مشعل الحرب رغم امطار تشرين .

او عن احاديث الشهيد الذي قال : من انا ؟.. ولماذا اعيش ؟

ربما عجز عن التعبير عن كل هذا ؛ ولكن هناك حقيقة ، حقيقة تحد ثوري من قبل شعب باجمعه على عصابات مجرمة ، عصابات تدعمها شرادم المستعمرين .

واما شهيد الجليل فله مني كل التحيات ، سيمجد اسمك يا اخي الشهيد من رجال شعبي ومن النساء ، من الشباب والفتيات ، من الاطفال الصغار والكبار ، وستبقى خالدا الى الابد ، بيننا .

من بعدك يا اخي الشهيد هب الشباب المؤمن بنضاله العربي القومي هب ليقتدي بك وبنضالك ضد العصابات الصهيونية وزبانيتها المجرمين.

● حسن علي معروف ، كتب شعرا يقول فيه :

« ومضينا في الدروب ..
نترع الحزن .. كؤوسا ..
تبعث الايام فينا
.. الذكريات ..
وتعود الذكريات ..
تندب الماضي .. المجيد
فالام المسير ..!!
سالت اليوم ..
فاجاب الامس هيا ..
وصداه اليوم ..
فلسطين ..!
حتما .. سنعود »

● ورسالة بلا توقيع ، تقول:

ولد الشهيد « محمود عزيمة » عام ١٩٣٨ في قرية فرعم قضاء صفد وقد نزح بعد النكبة الى سوريا وانضم الى زمر الفدائيين في سوريا .

اشترك مع اخوة له اكثر من مرة في عمليات استطلاع قوات العدو في الارض المحتلة .

وبتاريخ ١٦ — ١ — ١٩٦١ قام محمود مع زمرة من رفاقه بعملية استطلاع لقلب العدو الا انهم وقعوا في كمين يهودي فقاتلوا قتال الابطال حتى اخر طلقة بعدها استشهد البطل محمود عزيمة مع رفيقه سبع السباعي وانسحب الباقون بعد ان قتلوا عددا كبيرا من اليهود ثارا للشهيدين .

● يوسف عثمان قبطان — بيروت ، كتب يقول :

كنت ضابط صف في احدى قوات الجهاد المقدس التي كانت تقاتل جنبا الى جنب مع القوات المصرية في حرب فلسطين ١٩٤٨ في منطقة (الفالوجا) .

وفي شهر كانون اول ١٩٤٨ وبتاريخ ٩ — ١٢ وفي تمام الساعة السادسة مساء قامت القوات الاسرائيلية بشن هجوم انتحاري على القوات المصرية المحاصرة في (الفالوجا) وقرية عراق المنشية تساندها الدبابات الثقيلة بقيادة الاميرالاي المرحوم السيد محمود طه في الفالوجا وكانت الكتيبة السادسة بقيادة البطل جمال عبد الناصر في عراق المنشية وقد استمر الهجوم من مساء ذلك اليوم حتى الساعة الرابعة من صباح اليوم التالي وكنا قد اشتبكنا مع العدو في قتال عنيف استعمل فيه السلاح الابيض في عراق المنشية لان تركيز الهجوم كان على الكتيبة السادسة لفتح ثغرة للاستيلاء على المنطقة المحاصرة .

لكن يقظة عبد الناصر والضباط والجنود كانت كافية للقضاء ودحر القوات المعتدية تاركين ورائهم مائتين وسبعون قتيلا وثمانية وخمسون جريحا بالاضافة الى اغتنام عدد كبير من الاسلحة والذخيرة ودبابة بريطانية سنتوريون رقمها ١١٦ .

وقد كان جمال عبد الناصر يحمل مدفعه الرشاش ويتقدم المواقع العربية ويصيح بايمانه الكبير اضرب اضرب الله اكبر والنصر للامة العربية اضرب الله اكبر الموت لكم يا جبناء .. وكنا كلنا نقاتل بكل ايمان وكل قوة وتضحية وفداء مقتدين بقائدنا ورافع رايتنا البطل جمال عبد الناصر » .

● ● ●

فلسطين ملحق المحرر
صاحبها ومديرها المسؤول هشام ابوظهر
رئيس تحريرها غسان كنفاني
تصدرها : المؤسسة الصحفية للنشر والانتاج
المشرف الفني : نبيل ابو حمد
العنوان : بيروت بناية اللعازارية A-3
ص . ب : ٥٣٦٦
هاتف : ٢٥٣٧٠٠ - ٢٥٨٢٦١ ٢٣٥٩٥٢
طبعت على اوفست مطابع منظورة

الحل السياسي والحل السلمي

برهان الدجاني

تحدثنا في المقال السابق عن انواع الحلول التي تداولها العرب بشأن قضية فلسطين ، بشكل او بآخر ، بظرف او بآخر : الحلول التي فكرت بها دول عربية انفراديا ، او التي فكر بها العرب جماعيا . الحلول المتداولة قبل كارثة ١٩٤٨ ، وبعدها . كما بينا موقف عرب فلسطين الذي لم يتغير ، في جميع الظروف المتقلبة ، ومن هذه الحلول والمداولات ، هو موقف الرفض لوعد بلفور ، وكل ما نجم عنه ، ولفكرة وجود دولة صهيونية ذات سيادة على اي جزء من ارض فلسطين .

وما دمنا في صدد بحث قضية فلسطين اليوم ، لا في صدد تاريخ هذه القضية ، وما دام بحثنا في الاساس تحليليا لا وصفيا ، وفي الجوهر متطلعا الى الامام .. لا ملتفتا الى الوراء ، فاننا لن نتناول الميكانيكيات العربية لمعالجة قضية فلسطين ، سواء في المجال العسكري او السياسي ، ولكننا اذ نستبقي هذا التاريخ في اذهاننا ننطلق من واقع اليوم : واقع الوجود العربي .. واقع الوجود الفلسطيني العربي ، واقع اسرائيل ، واقع العالم السياسي .. وواقع الاثر التقنولوجي على ميكانيكيات المعالجة لمختلف المشاكل والقضايا .

وقبل الدخول في الموضوع نحب ان نبين الامور التالية .

اولا — ان ميكانيكية اي حل هي الجزء الجوهري منه ، وليس التحديد النظري او الكلامي لاهداف الحل .

ثانيا — ان عدم وضوح هذه الحقيقة في الذهن العربي ، هي التي تمكن في بعض الاحيان من المزايدة على القضية في الشق الاول : اي المزاودة بالاهداف وحدها دون اي ربط بينها وبين ميكانيكية التحقيق .

ولعل ابرز مثال على هذا القول موقف عبد الكريم قاسم الذي كان يتحدث عن استعادة فلسطين والقضاء على اسرائيل عبر عزلة عراق عهده ، وعبر حتى عدم وجود حدود بينها وبين اسرائيل ، وعبر عدم وجود اي امكان انفرادي له ، ضمن هذه العزلة وهذا البعد ، لتناول القضية باي شكل .

ان المزايدة بالكلام سهلة ولكن الصعب هو المزايدة في الامكان . واذا ما استقر في اذهاننا انه لا قيمة لكلام لا يرافقه امكان ، خصمنا ابتداء من باب المزايدات كل كلام بدون امكان ، واصبحت لدينا بعد ذلك فكرة واضحة عن حقيقة الساحة والاطراف الموجودين فيها .

ثالثا — ان عدم وضوح هذه الحقيقة — اي حقيقة لا حل بدون امكان — هي التي تجعل بعض الكتاب يتقدمون باشياء يسمونها حلولا ، وهي تدخل في باب الاماني لا في باب الحلول . وهم يتوهمونها حلولا بالنسبة لاهدافها ، غير منتبهين فيما يبدو الى حلقتها المفقودة — حلقة الميكانيكية او الامكان .

بعد ذلك نحب ان نبين ان الميكانيكية نفسها هي عبارة عن ثلاثة اشياء : استعداد قادر على تحريك القضية ، وهذا ما بيناه فيما سبق ، ورغبة في الربط ما بين هذا الاستعداد والقضية ، اي وضعه في متناول القضية ، ومن ثم عملية الربط هذه . هذه الاشياء الثلاثة تؤلف مجتمعة ميكانيكية الحل ، واذا انتفى اي منها اصبح الحل بدون ميكانيكية ، اي بدون امكانية للتحقيق .

وبعد هذه المقدمة ، لنستعرض مختلف اساليب معالجة القضية ، على ضوء المقاييس التي بيناها .

اولا ، ما زال في التفكير العربي خبط من الوهم — او خداع الذات التعويضي عن مرارة الهزيمة — بان قضية فلسطين قابلة لان تحل بمعجزة .

هذه المعجزة المنتظرة ، هي اضمحلال اسرائيل من الداخل ، اضمحلالها بصورة طبيعية ، سلبيا ، كموت العجوز او المريض على الفراش . ومن ثم لا يبقى الا ان تتالف لجنة لمنظمة الامم المتحدة ، مثلا ، لتعيد ، من بين مخلفات هذا المتوفي ، ما كان قد اغتصبه من حقوق عرب فلسطين ، فتشرف على عودة اللاجئين بصورة هادئة ، وعلى استعادتهم املاكهم . وبطرفة عين يزول الكابوس ، وتاخذ الحياة مجراها من جديد ، وتصبح الايام القاسية التي مرت مجرد ذكرى .

ولا حاجة بنا لتناول هذا « الحل » بتحليل او تعليق ، سوى ما ذكرنا من انه يدخل في باب الاماني الكاذبة ، وخداع النفس ، وينمع عن نفس العقلية القديمة التي لم تستطع يوما ان تستوعب معنى اسرائيل ، ولا ان تفهم جذور الصهيونية ، او العقلية العلمية ، التقنولوجية ، الاندفاعية ، اللااخلاقية ، التي تقف وراءها . هذه العقلية القديمة تجاه اسرائيل ما زالت موجودة بصور شتى في بعض مجالات الذهن العربي ، فمن مظاهرها مثلا تضخيم المشاكل اليومية لاسرائيل — مشكلة ميزان المدفوعات ، او البطالة ، او التضخم ، او الاضطراب الاجتماعي الناجم عن تلاطم العناصر المتنوعة — والتوهم العجيب بانها تدل على ان اسرائيل سائرة في طريق الاضمحلال . ومن مظاهرها ايضا تضخيم اثر الدعاية ، ومنها اخيرا ما اشرنا اليه مما يسمى حلولا قائمة على اساس هذه الافتراضات.

لحسن الحظ فان هذا الخط اقل شأنا في الذهنية العربية الحالية ، مما كان من قبل .

ثانيا — ان التحول الى شق « الميكانيكية » من الحل لم يتم الا بتدريج طويل مر ، عبر ارض وعرة ، رادتها الجمهورية العربية المتحدة ، ومعارك شاقة خاضتها ، وما امكنت الريادة ، ولا الدخول في المعارك ، الا بفضل البصيرة النفاذة التي يتحلى بها الرئيس عبد الناصر ،والتي مكنته من ان يكتشف ان قضية فلسطين هي اولا « استعداد » ، وان يفهم هذا الاستعداد بكامل ابعاده .. ويعرف مجالاته الصحيحة ، ويلجها .

فاذا كانت معطياتنا — كما بينا من قبل — ان الاستعداد موجود ، وان الموضوع هو موضوع الربط بينه وبين القضية ، كان السؤال هو : كيف يتم هذا الربط ؟

لا بد للاجابة على هذا السؤال من اعتبار الامور التالية .

اولا — المناخ المحلي — وهذا يتالف من عدة فروع : حجم القوى العربية المتماسكة في سبيل القضية — وفي اثناء المعركة ، حجم القوى العربية الاضافية او المكملة ، ومدى ضرورتها للمعركة ، ومدى استعدادها لخوضها .

ان الجواب الصحيح على هذه الاسئلة في رأينا ، التالي : الى ان تقوم الدولة العربية الواحدة ، فان قوة العرب الفعالة للمعركة يجب ان تعتبر قوة الجمهورية العربية المتحدة .. هذه هي النواة ، وحولها تلتحم كل اضافة ممكنة لتزيد في ثقلها وقدرتها .

ومن هنا تقع على عاتق الجمهورية العربية المتحدة مسؤولية تجميع اقصى ما يمكن من القوى وتحريكها . ولا شك في انها منذ عام ١٩٥٦ تتلمس ، بالتجربة والخطأ ، طريقها لذلك .

وآخر التجارب على هذا الصعيد تجربتان : اولاهما القيادة السياسية المشتركة مع العراق مع استهداف وحدة دستورية بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق ، وثانيتهما خط مؤتمرات القمة ، مع عدم اعتبار اي من الخطين بديلا عن الآخر ، بل اعتبارهما خطين متلازمين ، قابلين للالتقاء في نقاط عديدة .. ومن اهم ما يتالف منه هذا المناخ ايضا الطاقات الاقتصادية والعسكرية الموفورة للمعركة ، واثر الجبهات الداخلية وتحركاتها على المعركة .

الجانب الآخر من المناخ المحلي هو قوة اسرائيل نفسها ومدى قدرتها على مجابهة العرب ، بمحاولة التوسع ، او بالتصدي العسكري المتوخى مكاسب تتعلق بتوازن القوى .

الجانب الثالث من المناخ المحلي السباق التقنولوجي بين العرب واسرائيل واثره على توازن القوى العسكرية او المعنويات .

المناخ العالمي ، هذا المناخ يتالف من امور لا حصر لها ، اهمها التوازن السياسي في العالم ، والاثر التقنولوجي على هذا التوازن ، وعلى تحركات الدول .. صغيرها وكبيرها ، والقوى التي تقف من كل جانب ، ومقدار التاييد الذي يلقاه اي جانب من القوى التي ينتظر منها الوقوف بجانبه .

ومن عناصر هذا المناخ مدى قدرة الدول الاجنبية على التاثير في المناخ المحلي لتحويل جانب من الطاقات عن المعركة ، او لاستعمال جانب من هذه الطاقات حتى في ضرب المعركة ، اذا امكن ، كما حصل مثلا عام ١٩٥٦ عندما وقف عراق نوري السعيد نفسه في جانب بريطانيا — فرنسا — اسرائيل .. في عدوانها على مصر .

وكما في المناخ المحلي ، فان للسباق التقنولوجي ، والوضع التقنولوجي النسبي اثره الضخم في العالم ، وهو ينعكس على المناخ المحلي بثلاثة وسائط: الاولى ما يصل الى الجبهة العربية الاسرائيلية من منتجات التقنولوجيا العالمية ، والثانية ما تمرره القوى العالمية من معلومات تقنولوجية تؤثر في مجرى المعركة ، والثالثة ما يحاول كل فريق ان يتسوقه من سوق التقنولوجيا العالمية الحرة (حيثما توجد مثل هذه السوق بمعزل عن السياسة) ، ليدعم به علمه وتقنولوجيته الخاصة .

هذا المناخ العام ، بشقيه المحلي والعالمي ، يشكل الاطار لقرارات السياسة وامتداداتها .

ومع استبقاء هذا المناخ العام في ذهننا لنتقدم محاولين نفحص مختلف اساليب الميكانيكية على المستوى الاستقصائي النظري ، واذا وجدنا ايا منها ملائما للوهلة الاولى ادخلناه في بوتقة المناخ العام وحاولنا ان نرى اذا ما كان في مستطاعه ان يخرج من هذه البوتقة سليما قويا جاهزا للاستعمال ، ام نهاية مهشمة للاهمال .

النوع الاول من اساليب ميكانيكية المعالجة هو الاسلوب السياسي البحت.

ولو فرضنا وجود مثل هذا الاسلوب لقلنا بانه يقوم نظريا على الافتراض بان اساليب العمل السياسي قادرة على ارغام اسرائيل على التقهقر ، بحيث تضمر ، ويذوب خطرها ، وتسهل بالتالي معالجة امرها .

والاسلوب السياسي هذا على نوعين .. اولهما الاسلوب الساكن او الديبلوماسي ، الذي يتصور ان العمل الديبلوماسي قادر على تحقيق هذا الهدف . واقرب مثال على ذلك محاولة نوري السعيد ، في اواخر عهده ، لاثارة قضية فلسطين ضمن حلف بغداد ، واستحصال نوع من العطف على العرب .. وقد رافقت هذه المحاولة حملة دعائية كبيرة تنادي بانها ستؤدي في النتيجة الى ثني اميركا وبريطانيا عن تاييد اسرائيل وتمهد بالتالي لمعالجة امرها ، على مستوى سياسي عالي .

ولا حاجة بنا الى القول بان مثل هذه المحاولة لا تجدي شيئا . اذ ان امكانات الديبلوماسية الساكنة محدودة جدا . فالسياسة ضغوط متقابلة ، والضغط الاكبر منها هو الذي ينجح . والديبلوماسية الساكنة ليست ضغطا ، بل هي في احسن الاحوال محاولة اقناع وفي اسوأها محاولة استجداء ، هذا اذا افترضنا توفر الاخلاص في المحاولة ، لا كونها من باب الازدواجية التي لا يهمها سوى الهاء الرأي العام المحلي والانفلات من ضغطه .

والاسلوب السياسي الثاني هو الاسلوب الدينامي . وهذا الاسلوب يحاول استقصاء جميع امكانات العمل السياسي — اي العمل اللاقتالي — وتطبيقها . في المجال العربي ثمة سلاح سياسي قوى اشهرناه واستعملناه بمهارة وكفاءة — وتلك صفات قل ان تتحلى بها السياسة العربية — وذلك هو سلاح المقاطعة . على ان اسرائيل ، وان تضررت منه بدون شك ، استطاعت ان تجد عددا من البدائل عن الاسواق العربية ، وان كانت هذه البدائل كلها عالية الكلفة لاسرائيل .

ولقد فوتت السياسة العربية امكانيات كبيرة دون استعمال . مثلا فان اسرائيل تحصل على بترولها من ايران، وفي مقدور العرب ان يضغطوا باشكال شتى لمنع ذلك ، لو درسوا الموضوع دراسة متمعنة ووضعوا له خطة للعمل، في مجابهة شركات البترول التي تبيع لاسرائيل ، وشركات النقل التي تنقل لها ، وفي مجابهة الحكومة الايرانية .

ومررت السياسة العربية التعويضات الالمانية لاسرائيل ، وتوشك ان تمرر دفعة جديدة منها . ومررت ، او كادت ..وثيقة تبرئة اليهود التي وضع المجمع المسكوني في روما صيغتها ، وتلك وثيقة لا يمكن ان يكون القصد منها سوى اعطاء دعم معنوي لدولة اسرائيل .

ولكنها من ناحية ثانية ، وبفضل تنبه الجمهورية العربية المتحدة ، اخذت تضايق اسرائيل في كثير من المجالات الدولية ، وبخاصة بين المجموعة الاسيوية والافريقية .

ولكن اخطر سلاح سياسي عربي لم يشهر حتى الآن في وجه اسرائيل — وذلك سلاح البترول . ولسنا نعرف ما هو القصد من قرار مؤتمر القمة العربي باعادة النظر في المصالح الاقتصادية للدول التي تناصر اسرائيل .. ومن اهمية البترول العربي ، فربما استطاع العرب ، تحت مظلة من هذا الربط اتخاذ اجراءات سياسية اخرى ضارة باسرائيل ، كغلق خليج العقبة مثلا . على ان مثل هذه المحاولة تواجه ثغرتين كبيرتين ، اولاهما عدم وضوح اهمية هذا السلاح ووسائل شهره واستعماله في الذهن العربي ، وربما عدم وجود استعداد كاف لذلك لاسباب عديدة ، والثانية موقف ايران الرسمي المعادي للعرب ، والمستسلم لارباب المصالح البترولية واسرائيل .

ولكننا لو اخذنا جردا بجميع امكانات العمل السياسي ، واستقصينا من ضمنها المجالات التي يمكن تحقيق النجاح فيها ، وعملنا في هذه المجالات ، ونجحنا ، فما الذي يمكننا ان نحققه . بعبارة اخرى ما هي اقصى امكانات العمل السياسي ؟

ان العمل السياسي تعترضه عقبات كبيرة واضحة : اولها ان اسرائيل استطاعت ان تنتزع لنفسها اعترافا دوليا . فهي بحكم القانون الدولي .. دولة قائمة تعترف بها معظم دول العالم وتتبادل معها التمثيل الديبلوماسي .. وهي عضو في منظمة الامم المتحدة . ثم ان الصهيونية العالمية — وهي القوة المظللة على اسرائيل ، ذات قدرة ضخمة على الضغط في عدد من مراكز القوة في العالم ، بمختلف الوسائل : بالاصوات الانتخابية (في امركا) بالاعلام ، حيث تؤثر في معظم وسائل الاعلام في العالم الرأسمالي وتمتلك جانبا كبيرا منها ، بالصفقات السياسية المستترة التي

البقية ص ٨

عرب النقب

يدفعون ثمن التحويل

بئر السبع ، عاصمة عرب النقب ، والميدان الذي يلاقي ضربات الاضطهاد الصهيوني بثبات .

يعد العدو خطة لترحيل ٢٠ الفا من عرب النقب الى الشمال لثلاثة اهداف لم تعد خافية :

اولا : لتخفيض نسبة تفوق اعداد العرب على اليهود في منطقة النقب (وهو هدف يمارس ايضا . في الجليل تحت شعار ما يعرف بانه تهويد الجليل) ..

ثانيا : لتوفير اراض لكميات جديدة من المهاجرين اليهود بداوا يفدون الى اسرائيل في نطاق موجة جديدة من الهجرة تغطية الامكانيات التي يطرحها بدء تنفيذ مشروع جر المياه الى النقب .

ثالثا : لدفع بدو النقب نحو الشمال ، قريبا من المدن اليهودية بحيث يضطرون الى العمل في مشاريع الاقتصاد الصهيوني نتيجة لتشردهم عن اراضيهم ، وطلب المشاريع الصهيونية الى أيد عاملة رخيصة .

***

وقد بدات طلائع هذه الخطة حين وجهت في حزيران الماضي الى شيخ قبيلة العطاونة الشيخ موسى ، تهمة اغتيال جندية يهودية في النقب .

وبعد ضجيج طويل عريض افتعلته السلطات الاسرائيلة حول هذه القضية تكشف الهدف الحقيقي من تلفيق هذه التهمة ، فقد اقصي الشيخ موسى عن مشيخة قبيلته ، بقرار من الحاكم العسكري .

وبعد ذلك بثلاثة اسابيع فقط امر افراد قبيلة العطاونة بالتشتت في امكنة غير تلك التي استقروا فيها زمنا .

وراء هذا الاجراء تكمن حقيقة جديدة بالانتباه ، ذلك ان اقصاء شيخ العطاونة لم يكن مصادفا ، فطوال الست سنوات الماضية مارس هذا الرجل وجودا يختلف عما اعتادته السلطات الاسرائيلية من بدو النقب .

فقد قام بانشاء تعاونية زراعية هديثة ، في المنطقة التي تمتلكها قبيلته منذ اجيال ، وجاء لها بالتراكتورات دليلا على رغبته في استغلال الارض والاستقرار ، وكذلك قام بانشاء مدرسة لابناء القبيلة على نفقته الخاصة ، انشا علاقات وطيدة مع «راسلي الصحف الاجنبية ، وبدا انه ينوي تغيير الاسس التقليدية المنعزلة لحياة البداوة .. والعمل على ارساء قواعد مستقبل وطيد وجديد .

وفورا حاول حزب المابام المعارض ، كعادته ، استغلال هذه الظاهرة واعلن انه يحتضن شيخ العطاونة ، فاصوات افراد هذه القبيلة وغيرها من قبائل عرب بئر السبع هي اصوات كثيرة ، وقد كانت دائما خارج الصراع على الاصوات بين المابام والماباي .

ولم يحاول شيخ العطاونة السقوط في معركة لم تكن في حسبانه ولذلك لم يصد هذه الاتصالات ، وربما اعتقد انه يحتاجها في معركة وشياكة مع الدولة ، الا انه من الواضح ان الاعتبارات الاسرائيلة الجوهرية هي اعتبارات يتلاقى عندها الموالون والمعارضون بلا تردد ، ولذلك لم يحرك حزب المابام ساكنا ، بالمعنى العملي ، حين اقصي الشيخ موسى عن مشيخة قبيلته بالطريقة المفتعلة التي رسمت باعتناء .

* * *

لقد كان الاجراء الذي تعرضت له قبيلة العطاونة مقدمة لحملة اضطهاد جديدة شنتها السلطات الاسرائيلة على بدو النقب ، بغية انشاء ضغوط مختلفة تدفع بالعرب هؤلاء الى ترك ممتلكاتهم من الاراضي والاتجاه الى الشمال لتلبية الاحتياجات الاسرائيلية المشار اليها في بدء هذا الموضوع .

فقد صدر مؤخرا « كتاب أزرق » تعلن فيه السلطة العسكرية الاسرائيلية تخليها عن قانون كانت هي نفسها قد اصدرته في وقت سابق يقضي بتجمع عرب النقب في امكنة محددة .

والواضح ان هذا القانون الجديد يهدف الى سلب اجزاء اخرى من الاراضي التابعة لملكية بدو النقب ، ويهدف ايضا الى منع هؤلاء البدو من الاستقرار لان السنوات الماضية اثبتت بان شعور البدو بالخطر يدفعهم الى فعل ما فعله شيخ العطاونة .

لقد استطاع الضغط الاسرائيلي ان يدفع ٣ آلاف من بدو النقب ، تقريبا ، الى الهجرة الى الشمال بحيث يصعب عليهم وهم قريبون من مناطق الصناعة ، بغير اراضي وبغير راسمال ، ان يقاوموا كثيرا جذب الحياة العمالية.

على ان ١٧ الف بدوي من عرب النقب ما زالوا يقاومون في الصحراء اجراءات لا مثيل لها في التاريخ ، وتزداد هذه الاجراءات عنفا هذه الفترة بالذات .. وهي الفترة التي تحضر فيها سلطات العدو اراضي النقب لانشاء مستعمرات جديدة تستوعب المهاجرين الجدد الذين سيستحضرون في نطاق مشروع اعمار النقب .

أين نجحت الدعاية العربية واين فشلت ؟

نشرت « معاريف » الاسرائيلية مقالا كتبه جديون رافائيل مدير عام الخارجية الاسرائيلية السابق ، والسفير السابق لاسرائيل في بلجيكا واحد اعضاء الوفد الاسرائيلي للامم المتحدة ، حول سياسة اسرائيل الخارجية .

وسجل في مقاله ، حول الدعاية العربية في الخارج ، بعض الانطباعات فيما يلي موجزها :

« لقد حققت الدعاية العربية في السنوات الماضية ، على الصعيد الخارجي انتصارين لا جدال حولهما .

الاول ان العرب نجحوا في خلق انطباع لدى العالم بان العلاقات بين الدول العربية واسرائيل هي علاقات الاوسط وانها السبب الرئيسي والجوهري تختلف تماما عن بقية مشاكل الشرق في التوتر المحلي .

والثاني ان العرب نجحوا في تصوير مشكلة اللاجئين الفلسطينيين بانها مشكلة فريدة من نوعها في العالم .

وسجل رافائيل ان الدعاية العربية فشلت في النجاح بهدف اساسي ثالث وهو التوصل الى اقناع قطاع كبير من العالم ان اسرائيل هي ظاهرة غير عادية وانها لا تمتلك حق الوجود ولا البقاء . »

عكا القديمة في خطر

● ذكرت « هابوكر » في ١٨ — ١١ — ١٩٦٤ أن النواب العرب الثلاثة توفيق طوبي ، و س. خليل والياس نخلة أثاروا قضية (١٦٠٠) شخص عربي يقيمون في مدينة عكا القديمة ، داخل بيوت على وشك الانهيار ، أمام الكنيست. وقال النواب : ان هؤلاء العرب يقيمون في منازل تمتلكها شركة « عميدار » ، مقابل بدل ايجار سنوي يدفعونه لها ، وان السيد محمد الحبيشي نائب رئيس بلدية عكا ، وقع على اتفاقية مع شركة « عميدار » المذكورة ، تساهم الشركة بناء على هذه الاتفاقية ، بدفع نصف نفقات تعمير هذه المساكن ، ويدفع السكان العرب النصف الاخر ، لكن الشركة عادت فالغت هذه الاتفاقية .

وقال النواب العرب أيضا : ان مدير دائرة الاراضي في اسرائيل يطالب بمبلغ ١٠٠ الف ليرة اسرائيلية للدونم الواحد ، من قطعة الارض التي خصصها لسكنى سكان بلدة عكا القديمة ، بينما كان الثمن ١٠ الاف ليرة اسرائيلية للدونم الواحد ، قبل أربع سنوات . وأجاب يوسف الموجي وزير الاسكان والاعمار الاسرائيلي بان « قضية السكان العرب المقيمين في مدينة عكا القديمة تشكل قسما من القضية العامة لستين الف مواطن يعيشون تحت ظروف صعبة ، في اسرائيل » .

الاهتمام بالمال فقط !

ذكرت « هاآرتس » ان نشاط « كيرن هايسود » في الخارج محصور الان في مجال الجباية اليهودية الموحدة ، والتي جمعت منذ قيام اسرائيل حتى الآن ، (٩١٨) مليون دولار ، ومن هذا المبلغ (١٦٧) ميلون دولار في السنوات الاربع الاخيرة . وخلال هذه السنوات الاربع قدمت الجالية اليهودية الاميركية (١٢٠) مليون دولار لاسرائيل .

وكان معدل الجباية السنوي (٥٧) مليون دولار من جميع الجاليات اليهودية في الخارج.

وتقدم كيرن هايسود هذا المال كله الى الوكالة اليهودية التي تتولى الاشراف على شؤون الهجرة ، واستيعابها ، وانشاء المستعمرات الزراعية في اسرائيل ، بموجب اتفاقية معقودة بينها من جهة ، وبين حكومة اسرائيل والهستدروت الصهيونية العالمية ، من جهة أخرى .

وخلال السنوات الاربع الاخيرة هاجر الى اسرائيل ربع مليون مهاجر . ومن هؤلاء ١٧٠ الف مهاجر أتوا اليها من البلاد الفقيرة . وتتطلب البرامج المرسومة لانشاء مستعمرات زراعية جديدة في اسرائيل لاستيعاب المهاجرين الجدد فيها (١٠٠) مليون دولار ، شريطة ان تساعد وفرة الماء على توسيع شبكة هذه المستعمرات .

وقالت « هاآرتس » : ان الوكالة اليهودية انشات ٢٥٠ مستعمرة زراعية منذ قيام اسرائيل حتى الان .

وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح

عرض وتحليل بقلم : انيس القاسم

ستتجه الحركة الصهيونية الى الراي العام لكسب المزيد من عطفه وتاييده وفي يدها شواهد من وثيقة المجمع المسكوني تستطيع ان تستغلها الى ابعد حدود الاستغلال .. ولا يعني الحركة الصهيونية مطلقا ان يكون آباء المجمع المسكوني لم يروا في وثيقتهم ما تريد الحركة الصهيونية ان ترى فيه ... فهي التي ستستغل البيان لاهم ، وهم المطالبون بالتحلي بخلق التسامح ومحبة الاعداء لا هي . ولذا فمن حقنا ان نفترض ما ستفترضه الحركة الصهيونية من انها لن تلقى مقاومة من رجال الدين الكاثوليك في الغرب وهي تفسر بيان المجمع المسكوني على هواها وتطالب بتطبيقه وفق طرقها الخاصة ولاهدافها الخاصة .

فوثيقة المجمع المسكوني وصفت الشعب اليهودي بانه «الشعب المختار» ووصفت خلاص الكنيسة بانه سبق ذكره في صورة صوفية في خروج الشعب المختار من ارض الاستعباد . وقالت ان الكنيسة لا يمكن ان تنسى انها استمرار لذلك الشعب الذي تفضل الله عليه برحمته الواسعة ، في يوم من الايام بتحقيق عهده القديم ، موكلا اليه الوحي المذكور في كتب العهد القديم .

وستتناول الحركة الصهيونية عبارة خروج الشعب المختار من ارض الاستعباد لتغوص في اذهان الجميع ان ارض الاستعباد هي الارض التي تشتت فيها الشعب اليهودي في مختلف الايام والعصور ، وان ارض الحرية هي ارض اسرائيل ، وان من واجب الكنيسة واتباعها ان يعملوا جميعا على تاييد الشعب المختار في خروجه من ارض الاستبعاد وعودته الى ارض الحرية ، وخصوصا وان الرب قد وعد بذلك وما دام ان عهدا من العهود الواردة في العهد القديم ، وهو ظهور السيد المسيح ، قد تحقق عن طريق الشعب اليهودي ، فيجب اذن العمل على تحقيق العهد الاخر ، وهو عودة اليهود الى ارض الميعاد .. وواجب الكنيسة ، التي هي استمرار للشعب المختار ، ان تعمل على تحقيق هذا العهد .

الكنيسة اذن مدينة للشعب اليهودي برمته لانه هو الذي اوكل اليه الوحي المذكور في كتب العهد القديم . والذي يلفت النظر في العبارة الواردة في الوثيقة الى الوحي قد اوكل الى الشعب اليهودي ولم يوكل للسيد المسيح بالذات .. وهذا القول ينسجم تماما مع التفكير اليهودي الذي يعتبر النبوة المنتظرة الذي ورد ذكره في العهد القديم .. وبهذا اقر المجمع المسكوني بادعاء اليهود بانهم شعب الله المختار وان الوحي يوكل اليهم لا الى غيرهم .

والكنيسة استمرار للشعب اليهودي حسبما جاء في وثيقة المجمع المسكوني . ولم تقل الوثيقة ان الكنيسة استمرار للديانة اليهودية ، بل ان الوثيقة تحاشت تماما ما اقل اشارة الى الديانة اليهودية وركزت كل تعبيراتها على للشعب اليهودي فان من واجبها ان الصهيوني ، بناء على ذلك ، الى القول انه ما دامت الكنيسة باتباعها استمرار للشعب اليهودي فان من واجبها ان تناصر هذا الشعب لتحقيق آماله ، ذلك لان تحقيق هذه الامال هو تحقيق لامال الجميع من اصل وامتداد — الاصل هو الشعب اليهودي والامتداد هو الكنيسة . وما دامت الكنيسة استمرار للشعب المختار فان اتباعها ايضا هم من الشعب المختار وان العهد الذي قطع بالعودة الى ارض الميعاد هو اذن عهد قطع للكنيسة بقدر ما للشعب اليهودي .

اننا ندرك بطبيعة الحال ، ان المنطق والواقع يعانيان ازمة كبيرة عندما تعرض الامور على هذا الوجه ، وان ارسطوا يتقلب في قبره . ولكن يجب الا ننسى ابدا ان الحركة الصهيونية ليست منطقية الا مع نفسها وان الفرض السابق قد باتت مغايرته للمنطق والواقع لانه جاء مقتضبا ووضع بصورة الجدل المنطقي .

اما الحركة الصهيونية فانها لن تفعل شيئا من هذا القبيل ، انها ستقرر جميع ما تقدم على انه واقع ونتيجة مسلم بها . فالحركة الصهيونية قلما تدخل في جدل منطقي واذا دخلت فانها تتخير مقدماتها وتصوغها بشكل يضمن ان تكون النتائج هي ما ارادتها . ولذلك فانني التمس العذر من القارىء اذا لمس عنتا في المنطق او تحميلا لبعض العبارات فوق ما تحتمل في المنطق العادي الحسن النية . ونحن لن نناقش النواحي الدينية التي حاول ان يعبر عنها البيان حتى لا نتهم بالخوض في امور دينية وكاننا نعيش في القرون الوسطى بحيث يمتنع على المسلم ان يتحدث حديثا علميا حرا في الشؤون الدينية المسيحية او يمتنع على المسيحي ان يتحدث حديثا علميا حرا في الشؤون الدينية الاسلامية . ولذلك فنحن نتسائل كيف يمكن اعتبار مسيحي اليوم على اختلاف اجناسهم وبلدانهم استمرار للشعب اليهودي ؟ قد تكون الديانة المسيحية استمرارا للديانة اليهودية ، اذا اراد المسيحيون ذلك ، اما ان يكون اتباع الديانة المسيحية استمرار للشعب اليهودي فهذا قول في غاية الغرابة . فنحن لا نعتبر المسلمين على اختلاف اجناسهم وديارهم استمرار للشعب العربي الذي جاء بالاسلام .

ان التركيز على الشعب اليهودي بدلا من الديانة اليهودية او السيد المسيح امر يلفت النظر ولا يجوز ان نفترض ان ذلك قد جاء دون قصد ، ومما تجب الاشارة اليه ان الشعب اليهودي قد رفض ان يدخل في كنيسة السيد المسيح ، ورفض الاعتراف بالسيد المسيح وقاوم رسالته اعنف مقاومة ولا يزال يرفض بعناد واصرار تحقيق الامل المسيحي الذي تحدث عنه البيان من اتحاد الشعب اليهودي بالكنيسة .

لو ان الشعب اليهودي التف حول السيد المسيح او آمنت به غالبية ذلك الشعب ونصرته لكان من حق الشعب اليهودي ان يمجد ولامكن ، ولو بصورة صوفية ، اعتبار الكنيسة استمرار للشعب اليهودي . غير ان الشعب اليهودي ، بكيانه وكتابه وعامته ، قرر قتل الرسالة وصاحبها ، وما اكثر ما وردت عبارة القتل في الكتاب المقدس وتآمر على ذلك حتى نجح في مؤامرته.

ثم جاءت الوثيقة بعد ذلك لتذكر العالم المسيحي بان الكنيسة لا تنسى ان المسيح ولد — من ناحية الجسد — في الشعب اليهودي وان ام المسيح ، مريم العذراء ، والحواريون ، وهم اساس ودعامة الكنيسة ، قد ولدوا ايضا في الشعب اليهودي .

من حق الكنيسة الا تنسى كل هذا ، ومن حقها ان تنسى ، اذا ارادت ما فعله اليهود بالمسيح وحوارييه ، ولكن الوثيقة تركت النتائج التي تترتب على هذا التذكر دون توضيح . ولذلك فان الحركة الصهيونية ستستغل هذا التذكر لتذكير الكنيسة بدينها الكبير للشعب اليهودي الذي لم يكن له خيار على الاطلاق في ان يولد السيد المسيح وامه والحواريون كما ولدوا . والشعب اليهودي الذي لا يمكن ان يعزي له اي فضل في واقعة الولادة ولم يكن له اختيار لا لمنعها ولا لاحداثها هو ذاته الشعب الذي اختار ان يعذب هؤلاء جميعا . فمن العجيب ان يعزي للشعب اليهودي فضل فيما لم يكن له فضل فيه ولا يشجب او يؤاخذ فيما كان له مطلق الخيار فيه . اننا لا نجد شعبا من الشعوب لمجرد ان شخصا ، مهما علت مكانته ، قد ولد ذلك الشعب خصوصا اذا كان ذلك الشعب قد سام الوليد أسوأ العذاب وصار جديرا بالاحتقار لا بالتمجيد .

وتمضي الوثيقة الى الاشادة بالشعب اليهودي فهم الذين هم اسرائيليون ولهم التبني والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد . ترى عندما اطلق بولس الرسول هذه الكلمات هل كان يعني يهود عصره ام اليهود عبر العصور والاجيال ؟ هل ليهود اليوم ايضا الذين هم اسرائيليون التبني والمجد والعهود الخ ؟ ان البيان لم يجر اية تفرقة ، كما فرق بين اليهود الذين عذبوا السيد المسيح ويهود عصرنا الحاضر . واي تحية تريد الحركة الصهيونية اكبر من هذه التحية واي باب اوسع من هذا الباب وهي تسعى لاقامة مجد لليهود الذين هم اسرائيليون وتحقيق عهد من العهود لهم وهو العودة الى ارض الميعاد ، لن تقف الحركة الصهيونية عند حد في استغلال هذه العبارة والتوسع فيها .

وكانما هذا كله لا يكفي ، ولذا مضت الوثيقة الى تذكير المسيحيين بامور اخرى مدينين بها للشعب اليهودي ، فيقول ولما كان المسيحيون قد تسلموا من اليهود ذلك التراث العظيم فان هذا المجمع المسكوني يهدف الى التشجيع والتوصية بمراعاة التعارف والاحترام المتبادل تماما بين المسيحيين واليهود الذي سيصبح عميقا عن طريق البحث اللاهوتي والحوار الاخوي .

ان الحديث عن التراث حديث علمي وحضاري لا ديني ، ولذا فمن حقنا ان نتساءل عن التراث العظيم الذي تسلمه المسيحيون من اليهود ؟ اذا كان المقصود كما يفهم من السياق ان هذا التراث هو الديانة المسيحية فان هذا التراث العظيم لم يكن في يوم من الايام جزءا من التراث اليهودي — والتراث لا يسمى تراثا الا اذا صار جزءا تلقائيا من حياة الشعب الذي ينسب اليه التراث ، ومع ان التراث المسيحي قد اصبح جزءا من تراث شعوب كثيرة الا ان الشعب الوحيد الذي رفض رفضا قاطعا ان يجعله جزءا من تراثه هو الشعب اليهودي الذي يقول البيان انه سلم للمسيحيين .

ومع ذلك فان الحركة الصهيونية ستستغل هذا الاعتراف من جانب المجمع المسكوني بان المسيحيين قد تسلموا من اليهود التراث المسيحي الذي يعتزون به .

وستستغل الحركة الصهيونية الى ابعد حدود الاستغلال ما اوصى به المجمع المسكوني من وجوب التعارف والاحترام المتبادل بين الشعب اليهودي والمسيحيين ، كما ستستغل الدعوة الى البحث اللاهوتي والحوار الاخوي ، اما البحث اللاهوتي فمن المنتظر ان تتولا الحركة الصهيونية وستعتمد على ما جاء في الوثيقة لابراز فضل الشعب اليهودي على المسيحية والكنيسة ذاتها . واما الحوار الاخوي فستستغله الحركة الصهيونية لحمل رجال الدين الكاثوليكي على السير في المخطط الصهيوني فيما يتعلق بتأييد قيام اسرائيل من الناحية الدينية ... وستستغل الحركة الصهيونية مبدأ التعارف والاحترام المتبادل لانشاء الجمعيات المشتركة بين انصارها وبين ابناء الطائفة الكاثوليكية واقامة الندوات وجمع التبرعات والقيام بالزيارات لاسرائيل ونشر الكتب والمجلات ، وما الى ذلك من المناورات والاساليب الصهيونية المعروفة .

وتمضي الوثيقة الى القول : كما ان المجمع المسكوني بالاضافة الى ذلك ، يستنكر بشدة ذلك الظلم الذي يستهدف له الناس في اي مكان ، كما يستنكر ايضا الكراهية والمعاملة السيئة لليهود .

وواضح من سياق الوثيقة ان عبارة استنكار الظلم قد وردت في غير موضعها وانها زجت زجا حتى لا يظن ان المجمع المسكوني يستنكر الظلم الذي يستهدف له اليهود فقط . ومما يؤكد هذا ان الوثيقة قد اشارت الى هذا الموضوع في مبادئها العامة التي وردت في اخر الوثيقة .

غير ان هذه الصياغة قد اوجدت مفارقة واضحة ، اذ وضعت جميع البشرية في جانب من حيث الظلم ووضعت اليهود في جانب اخر من حيث الكراهية والمعاملة السيئة ، من ان غير اليهود هم الذين يسامون العذاب ويظلمون في ايامنا هذه . وهذا النمط في التفكير الذي يقسم الجنس البشري الى قسمين : الشعب المختار وبقية الجنس البشري تفكير يهودي لا مسيحي .. فالمسيحية تعتبر الجنس البشري كله من ابناء الله . اما التراث اليهود فلا يجري على هذا النحو .

ومع اننا نقر الوثيقة فيما يتعلق بشقيها في هذا الشأن : استنكار الظلم واستنكار سوء المعاملة الا ان الحركة الصهيونية ستستغل هذه الاشارة الخاصة للشعب اليهودي لتطعن في موقف العرب من قضية فلسطين . او ليس سكان اسرائيل من اليهود ؟ اليس ظلما ان يحاول العرب اخراجهم من ارض الميعاد ؟ الا تعتبر السياسة العربية تعبيرا عن الكراهية لليهود وسوء المعاملة لهم ؟ واذن يجب ان تقف الكنيسة ضد هذا الظلم وضد الكراهية وسوء المعاملة. ورفع الظلم عن العرب ، ان كان حقا قد وقع عليها ظلم ، يمكن رفعه بتوطينهم في البلاد العربية الشاسعة الاطراف . اما الشعب اليهودي فانه سيعود مشتتا مشردا مظلوما مستعبدا فيما لو اخرج من اسرائيل . وعلى هذا النحو من المنطق الذي سبق واستعملته الحركة الصهيونية ستسير في ادعاءاتها دون ادنى اشارة الى حقوق عرب فلسطين . وستسعى الحركة الصهيونية لاستغلال رجال الدين وغيرهم لنشر هذه الدعوة كجزء من برنامج عام يرمي الى رفع الكراهية واساءة المعاملة والظلم عن اليهود .

وتأتي الوثيقة بعد ذلك ليقول : ومن الواجب ايضا ان نذكر ان اتحاد الشعب اليهودي مع الكنيسة هو جزء من الامل المسيحي ، والواقع ان الكنيسة ، حسب تعاليم بولس الرسول تفتح بعقيدة متينة ورغبة اكيدة ، في وجه ذلك الشعب باب الدخول في سلطان شعب الله كما وطده المسيح .

ان هذا الامل المسيحي لم يتحقق حتى الان بالرغم عن انقضاء حوالي الفي سنة والباب مفتوح ينتظر الشعب اليهودي ان يدخل فيه .. فالشعب اليهودي ما زال لم يدخل في شعب الله كما وطده المسيح ، ولم يتمنع شعب على ذلك كما تمنع عليه الشعب اليهودي وليس في الافق ما يشير الى اي تغيير في هذا الموقف . ومع ذلك فقد رأى المجمع المسكوني ان يشير الى ذلك الامل اشارة خاصة اظهارا لمكانة الشعب اليهودي بالنسبة الى الكنيسة .

وما دام هذا جزءا من الامل المسيحي .. فمن واجب الكنيسة ان ترعى الشعب وتسانده في قضاياه على امل ان يتحقق اليهودي وتيسر له اموره وتعطف عليه ذلك الامل المسيحي في اتحاد الشعب اليهودي بالكنيسة . وستطالب الحركة الصهيونية بهذا كله وباكثر منه .. بل وقد تحمل بعض اتباعها على اعتناق المذهب الكاثوليكي كدليل على ان الشعب اليهودي قد بدأ يفكر في دخول الكنيسة التي ترعى قضاياه وتسانده . ولن تكون هذه المرة الاولى في التاريخ التي

البقية صفحة ٨

مذكرة الارض الى الامم المتحدة

اول صوت عربي يدوي من داخل سور القمع والارهاب في اسرائيل

في عددها الماضي نشرت « فلسطين » الجزء الاول من هذه المذكرة الهامة التي رفعتها « منظمة الارض » العربية في الارض المحتلة الى يوثانت .

وكانت « فلسطين » قد ذكرت ان المصادر الغربية والصهيونية قد طمست اخبار هذه المنظمة واخفتها واستطاعت تغييبها من العالم كله ، وان فلسطين قد استطاعت الحصول عليها بصورة مثيرة سجلت في اوانها .

واحتوى ذلك الجزء من المذكرة هجوما عنيفا على السلطات الاسرائيلية وتنفيذا لكافة ادعاءاتها وتحدث ذلك الجزء عن سياسة سلب الاراضي ، وعن عمليات نهب اموال الاوقاف ، وعن طبيعة الحكم العسكري الذي يسلط على العرب وعلى وضع الثقافة العربية في الارض المحتلة .

وفيما يلي تتمة تلك المذكرة الهامة ، ترجمتها فلسطين حرفيا :

رابعا : التميز العنصري

لقد اكد اعلان الاستقلال على المساواة بين جميع المواطنين ودعا الى اشراك العرب في كافة المؤسسات الرسمية والعامة . ولسوء الحظ فان سياسة الحكومة بالنسبة للعرب كمواطنين من الدرجة الثانية تعاملهم بشكل سيء جدا وتشجع جميع الاجراءات التمييزية بينهم وتساعد على تنمية الخلافات فيما بينهم . ان موجة التمييز اخترقت جميع أوجه الحياة وخلقت مشاعر دائمة من الكراهية والشك .

تشكل الاقلية العربية ١/١٠ من سكان اسرائيل وهم يقومون بكافة التزاماتهم ويدفعون ما يتوجب عليهم من الضرائب ومع هذا فان الموظفين العرب في الحكومة يشكلون ١ر٥ بالمئة من مجموع الموظفين .

في احدى الحملات الانتخابية لعام ١٩٦١ قال احد مرشحي الحزب الحاكم « على الحكومة ان تحول العرب في اسرائيل الى طبقة عمال لتخدم الجماهير اليهودية » . ان الحكومة ، في الواقع ، تتبنى هذه السياسة وتحاول ان تحقق معطياتها باقصر وقت ممكن .

ان الظواهر الملموسة لسياسة التمييز المتبعة ضد العرب في اسرائيل تؤثر في جميع اوجه الحياة . نستطيع ان نذكر ما يلي بايجاز :

الخدمات العامة : لا تزال معظم القرى العربية حتى الان دون ماء الشرب والكهرباء والشوارع .

الخدمات الصحية : تشكو معظم القرى العربية من غياب اية خدمات صحية . ان الحادثة الاخيرة في قرية كسرى حين توفي ١٢ طفلا من « الحصبة » مثل صارخ على هذا الاهمال .

السلطات المحلية : ان التجمعات العربية تقاسي من « طاعونين » اما وجود مجالس محلية معينة من قبل الحكم العسكري ، واما غياب هذه المجالس .

واخيرا وليس اخرا فان الحكومة العسكرية تنكر حريات المواطنين العرب الاساسية : حرية الكلام ، حرية التعبير ، والحرية السياسية . ان الحكومة تعارض بشراسة اي محاولة لتاليف حركة عربية حرة مستقلة تمثل فعلا الاقلية العربية . وترفض الحكومة ايضا اعطاء العرب حقهم الاساسي باصدار جريدة تعبر عن مشاعرهم وآمالهم ومطالبهم وحقوقهم .

ان المعارضة الصريحة لاقامة حركة عربية سياسية حرة مستقلة ، والمحاولات تستخدمها السلطة لتحقيق هدفها الرئيسي في تصفية الشخصية العربية القومية في اسرائيل .

وتشجع السلطات الشباب العربي بالمقابل بالانخراط بالاحزاب الصهيونية والمعارضة للصهيونية آملة من وراء ذلك محو مشاعرهم القومية ومسهلة بالتالي انصهارهم بالمجتمع اليهودي .

ووسط هذا الجو المشحون بالاضطهاد والتمييز العنصري والشوفينية ، انطلق صوت عربي أبي يطالب بجميع الحقوق المشروعة للعرب في اسرائيل وباحترام جميع مشاعرهم وتقاليدهم .

لقد انبعث هذا الصوت الشجاع من مجموعة من الشباب العربي المؤمنين بعمق بمعتقداتهم الامينة ، والذين يرفضون بشدة جميع اشكال التمييز ويعارضون بقوة سرقة الاراضي ومصادرتها . انهم يدعون الى المساواة العدالة ، الاحترام ، الكرامة ، والحرية . انهم يصرخون بشدة منادين بالعدالة التي تنتهك بالقوانين الرديئة والخداع .

ان هذه المجموعة من الشباب قد اتحدت تحت شعار « العدالة » واسم واحد هو (الارض) وهم يعرفون عادة بـ (جماعة الارض) .

ولقد قرروا في بداية نشاطاتهم ان يصدروا جريدتهم باسم « الارض » التي ترمز الى تراثهم الخالد الذي تملكه العرب عبر الاجيال .

وقبل ذلك اصدروا الى الرأي العام بيانا اوضحوا فيه عدالة مطالبهم ونواياهم المسالمة . ثم قدموا طلبا رسميا للسماح لهم باصدار مجلتهم . ولقد اخرت السلطات اعطاءهم الجواب فترة تجاوزت المهلة المعطاة في القانون متذرعة باعذار واهية . ولهذا قررت جماعة الارض ان تصدر نشرة اسبوعية تعبر عن ارائها المحلية والسياسية . لقد كان اصدار النشرة بداية الصدام العنيف مع السلطة التي حاولت بمختلف الوسائل ان توقف نشاط هذه الجماعة ، ولقد قاسى اعضاؤها بالتالي من غرامات مالية واقتصادية عنيفة . وشنت الصحف المحلية حملة مضللة ضد الجماعة وقذفتها بشتى انواع التهم والمقاصد .

ولقد ساهمت في هذه الحملة الصحف اليهودية خارج اسرائيل ومن بينها « جويش كرونيكل » الصادرة في لندن . لقد صمدت « الارض » بعناد أمام جميع الهجمات والملاحقات ولم تنحرف او تتنازل مطلقا عن معتقداتها العادلة وايمانها المقدس . واخيرا قدمت السلطات اعضاء الجماعة الى المحاكمة بتهمة مخالفة قانون الصحافة . لقد حكم على كل منهم بغرامة قدرها الف ليرة اسرائيلية وبحبس ٣ اشهر مع وقف التنفيذ . ولقد خفض المبلغ الى النصف بعد الاستئناف ولكن مدة السجن بقيت كما هي . وبالرغم من ان هذه الاحكام قد اثرت في الوضع المادي لاعضاء « الارض » فانهم استمروا في نضالهم من اجل قضيتهم العادلة .

وبعد ذلك قامت هذه المجموعة بتقديم طلب الى (قلم تسجيل الشركات) مطالبين بتسجيلها شركة تجارية للطباعة والنشر باسم « شركة الارض المحدودة » . ولكن قلم التسجيل رفض الطلب بحجة امن الدولة والسلامة العامة . وقدمت القضية الى « المحكمة العليا بالقدس » التي رفضت ادعاءات قلم التسجيل وطلبت الترخيص بانشاء الشركة . فما كان من المدعي العام الا ان استأنف الحكم ، وجلس خمسة قضاة على المنصة . وبعد التداول وباغلبية الاصوات قررت المحكمة تثبيت القرار وبالتالي الترخيص بالشركة . وهكذا قامت هذه الشركة بتقديم طلب باصدار المجلة المنتظرة « الارض » . ومرة أخرى رفض حاكم القطاع (قطاع الناصرة) طلب الترخيص بحجة ان مجلس المحررين تنقصه بعض المؤهلات .

وقدم طلب جديد متضمنا جميع المستندات المطلوبة من رئيس تحرير . ولكنه ووفاء منه بقراره السابق ، اصدر الحاكم قراره برفض الطلب مستندا الى المادة ٩٤ من قانون الطوارىء التي تمنحه هذا الحق .

ان هذه الحملات الكريهة التي وجهت ضد الشباب العربي زادتهم ايمانا بمعتقداتهم السياسية ، واكدت بشكل قاطع التعصب الاعمى والشوفينية .

ان جماعة الارض تؤمن ان العرب في اسرائيل جزء من الفلسطينيين العرب الذين يشكلون جزءا من الامة العربية لا يتجزأ .

ان اهدافهم هي التالية :

١ — المساواة بين جميع المواطنين بجميع الحقوق والحريات الاساسية . وانهاء التمييز والاضطهاد .

٢ — قبول اسرائيل بقرارات الامم المتحدة الصادرة في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ والمتعلقة بالتقسيم . هذه القرارات التي تشكل حلا عادلا وتحمي مصالح العرب واليهود وتضمن الاستقرار والسلام في الشرق الاوسط .

٣ — تبني اسرائيل لسياسة عدم الانحياز ، الحياد الايجابي ، والتعايش السلمي .

٤ — اعتراف اسرائيل بحركة القومية العربية ، هذه الحركة التي تدعو للوحدة والاشتراكية كقوى تقدمية يعتمد عليها مستقبل المنطقة ، وعلى هذا الاعتراف يتوقف مستقبل اسرائيل نفسها .

٥ — التعاون مع جميع الاطراف في اسرائيل التي تؤمن بالمبادىء الآنفة الذكر ، او ببعضها .

وسعيا وراء العدالة والتفاهم ، بادت جماعة الارض وقدمت طلبا الى المحكمة العليا بالقدس التي رفضت هذا الطلب في جو مشحون بالعداء لم يكن متوقعا مطلقا .

لقد اعلن رئيس المحكمة في حيثيات قرار الرفض ما يلي :

« لقد ادعى مقدمو الطلب ان عدم السماح لهم باصدار جريدة تعبر عن آرائهم السياسية يخالف حرية الفرد وحرية الصحافة . ولكن بما ان هذه القضية هي قضية سياسية — اجتماعية متصلة بالظروف الخاصة التي عاشت اسرائيل في ظلها في السنوات الماضية ، فان هذه القضية يجب ان لا تبحث هنا بل في مكان اخر . ان القرار الحاسم يجب ان يتخذ في الكنيست وليس في المحكمة ، لان المحكمة ملزمة بتنفيذ القانون » .

كما اعلن القاضي بيرنسون ما يلي :

« لقد ادعى مقدمو الطلب انه لو طلبت المحكمة من حاكم القطاع تفسير أسباب رفضه اعطاءهم ترخيصا ، انه لو تم ذلك لتبين ان سبب المنع ناجم عن تمييز عنصري ضدهم كعرب لانهم يحملون وجهات نظر لا تنسجم مع المنظمات اليهودية الاخرى ولا مع ما يؤمن به حاكم القطاع .

« ومن ناحية اخرى أكد المدعي العام للمحكمة ان سبب رفض الحاكم يعود لاسباب متعلقة بالامن فقط ، وان السبب في عدم نشر الاسباب يعود الى امر صادر عن وزير الدفاع . ولقد ابدى المدعي العام استعداده لعرض هذه الاسباب امام المحكمة .. ولكننا رفضنا طلب المدعي العام لانه لا يحق لنا كمحكمة ان نطلع على الاسباب التي تقف وراء القرارات التي يتخذها الحاكم ما دامت ضمن صلاحياته القانونية .

« صحيح انها قضية جدية ... ولكن المحكمة لا تملك اي بديل غير تنفيذ القانون كما هو قائم ... فاذا رفض الحاكم ابداء اسباب رفض طلب الترخيص لا تستطيع المحكمة ان تتدخل » .

وبالاضافة الى ذلك فان قانون الطوارىء يمنح الحكام العسكريون السلطات الكافية للتدخل في كافة اوجه الحياة . ويتضح هذا في المادة ٩٤ من هذا القانون :

« يستطيع الحاكم العسكري ان يرفض الترخيص بانشاء جريدة او اية منظمة دون ان يبين اسبابا بذلك ... وله الحق ان يتخذ الاجراءات اللازمة ، وان يمنع اتخاذ اية اجراءات تخالف قراره » .

وسنذكر هنا بعض المواد الواردة في قانون الطوارىء والتي تتدخل بشكل سافر في الحريات الاساسية للفرد . ان المادة ١٠٩ من هذا القانون تعطي الحكام العسكريين السلطات الكاملة لتقييد حرية الافراد . انها تنص على ما يأتي :

« يستطيع الحاكم العسكري ان يأمر اي شخص بما يلي :

١ — ان يضمن وجوده في المناطق المرخصة والمسموح بها .

٢ — ان يحدد تحركاته ويبلغها الى الجهة او الشخص الذي ينص عليه القانون .

٣ — منع او تقييد ملكية الشخص لاي نوع من الحاجيات التي يحددها الحاكم العسكري .

٤ — فرض اية قيود عليه فيما يتعلق بطبيعة عمله ، بارتباطه او اتصاله باشخاص اخرين ، وبالنسبة لنشاطاته الخاصة بالتعليق على الاخبار وبالتعبير عن آرائه » .

وتمنح المادة ١١٠ الحكام العسكريين سلطة اصدار اوامر « الاشراف البوليسي » . تنص المادة على ما يلي :

١ — يستطيع الحاكم العسكري ان يأمر بوضع اي شخص تحت رقابة البوليس لفترة لا تزيد عن سنة واحدة .

٢ — كل شخص يخضع لرقابة البوليس يكون خاضعا في نفس الوقت لما يأتي :

أ — يطلب منه ان يسكن في مكان ما داخل اسرائيل يحدده الحاكم العسكري .

ب — لا يحق له ان ينقل مكان سكنه الى اي مكان اخر ضمن نفس المقاطعة الا باذن خطي من رئيس قسم البوليس في القطاع ، او باذن خطي من المدير العام للبوليس اذا انتقل الى مكان ما خارج القطاع .

ج — لا يحق له ان يترك قريته او مدينته الا باذن خطي من رئيس البوليس في القطاع .

د — يجب ان يبلغ رئيس قسم البوليس في القطاع والبوليس الموجود قرب مكان اقامته بالمكان الذي يسكن فيه وعنوان البيت .

هـ — يجب ان يكون جاهزا ليقدم نفسه للبوليس في اي وقت ومهما كانت الاسباب واذا طلب منه اي ضابط ذلك .

ز — يجب ان يبقى داخل بيته بعد مرور ساعة على مغيب الشمس وحتى الصباح ، ويحق للبوليس ان يزوره في بيته في اي وقت » .

وتعطي الفقرة الثالثة الحكام العسكريون الحق باصدار اوامر « حجز كيفي » وتنص على ما يلي :

« يستطيع الحاكم العسكري ان يوجه امرا باعتقال اي شخص في اي مكان يحدده الحاكم » .

أما المادة ١٢ فتعطي الحاكم العسكري الحق باعلان الاحكام العرفية على بعض اجزاء اسرائيل .

ان قانون الطوارىء الصادر عام ١٩٤٥ الذي اعتمدت عليه المحكمة العليا في القدس هو قانون ارهابي استعماري في نصه وروحه . لقد صدر هذا القانون بواسطة الانتداب الانكليزي لكبت كل حركة تدعو للحرية القومية .

ان هذه القوانين تلغي بشكل مباشر او غير مباشر جميع الانظمة الاخرى وتسحق وتدمر جميع الحريات الفردية للمواطن وتتركه مقعدا شقيا . لقد فرضت هذه الانظمة الدكتاتورية القاسية تقييدا شديدا على حرية الصحافة والكلام والتعبير والاجتماع .

ولقد قوبلت هذه القوانين بمعارضة شديدة واحتجاجات صريحة منذ اعلانها من قبل العرب واليهود . ففي ٧ شباط ١٩٤٦ عقد اجتماع لمعارضتها في تل ابيب . لقد حضر الاجتماع ٤٠٠ محامي يهودي منهم من يحتل مراكز مرموقة الان .

وقد قال الدكتور دونكلبوم ، الذي عين فيما بعد عضوا في محكمة العدل العليا ، في الاجتماع :

« هذه القوانين تشكل تهديدا دائما للمواطنين ، ونحن كمحامين نرى فيها خرقا فاضحا للمبادىء الاساسية للقانون والعدالة والنظام . هذه القوانين تحرم المواطنين من حقوقهم وتعطي السلطات قوة غير محدودة » .

■ «سمينا انفسنا "الارض" رمزا لتراثنا الخالد الذي تملكناه كعرب عبر الاجيال!»

■ «والارض تؤمن بأن العرب في اسرائيل هم جزء لا يتجزأ من الفلسطينيين الذين هم جزء من الأمة العربية»

■ «اذا كانت اسرائيل تعتقد انها ستخلق حالة استسلام بين العرب فنحن نعلن لها هنا ان هذا لن يتحقق»

■ «اننا نحمل اسرائيل والامم المتحدة مسؤولية كافة المضاعفات .. فمصير ٢٦٢ الف عربي ليس موضوعا تافها»

وفي معرض هجوم [illegible] على القوانين ، ذكر يعقوب شابيرا ، المدعي العام لحكومة اسرائيل ، قال خلال الاجتماع :

« ليس لهذه القوانين مثيل في اي بلد متحضر ، ولا حتى في المانيا النازية ، قد يوجد مثلها في بلد مستعمر . تدعي الحكومة ان هذه القوانين موجهة ضد المجرمين فقط ، الا ان اية سلطة لا يمكن ان تسمح لنفسها بنشر مثل هذه القوانين غير الانسانية . »

وفي نهاية الاجتماع اتخذت القرارات التالية :

« ١ — قوانين الطوارىء تحرم المواطنين من كافة حرياتهم الاساسية .

٢ — قوانين الطوارىء تشكل تهديدا دائما لاسس القانون والنظام ، وهي خطر ضخم على حرية الفرد وحياته ، وتفرض عليه حكما دكتاتوريا .

٣ — يطلب المؤتمر الغاء هذه القوانين » .

كثير من قادة اسرائيل كانوا اعداء لدودين لتلك القوانين . حقا ، كان من المفروض آن تلغي آسرائيل تلك القوانين فور قيامها ، لكن الحكومة الاسرائيلية ابقت عليها وطبقتها بوحشية ضد العرب في اسرائيل ، فقط ضدهم .

دون حياء من موقفهم المخزي ، تتجرأ الصحافة الصهيونية واجهزة الاعلام الرسمية في اسرائيل على نقد الاوضاع الداخلية لبعض البلدان الاخرى ، بينما الاوضاع في اسرائيل نفسها محزنة . ان السلطات تشن حملة جارفة من الارهاب والتقتيل والتمييز ضد العرب اصحاب الحق الشرعي في البلاد .

ان بعض الامل الذي راود تفكيرنا والثقة في محاكم العدالة ، قد انبعثت اثر صدور حكم محكمة العدل العليا ضد منظمة « الارض » . ذلك الحكم ، الذي اثار غضب كل المواطنين ذوي الضمير الحر ، كان ضربة مميتة لحرية الفرد وحرية الصحافة . ان لامبالاة اليهود لرجاء المواطنين العرب ، الذين يقاسون وحدهم من قوانين الطوارىء ومن الحكم العسكري ، تتطلب تدخلا فعالا من الامم المتحدة . على الامم المتحدة ان تعالج بسرعة كافة تذمرات العرب في اسرائيل وان تحمي حقوقهم .

تأمل الحكومة الاسرائيلية ، بالضغط والارهاب ، ان تخلق بين العرب في اسرائيل حالة من الرعب والحيرة والاستسلام . اننا نعلن آن هذا لن يتحقق . اننا مصرون على مقاومة الارهاب وعلى النضال المتصلب من اجل حقوقنا ، ويجب الا يغيب عن الاذهان ان هذه التصرفات الحمقى لا تقود الا للحقد والعداء .

وتأمل الحكومة ايضا انفجار مظاهرات دموية من قبل العرب ، لاستعمالها حجة تبررها للراي العام العالمي الضربات المميتة للاقليات ، مرة أخرى نعلن ان السلوك المكيافيلي سيترتب عليه مضاعفات عديدة حتى خارج حدود اسرائيل ، وانه حتما سيحرك العالم العربي كله وكافة الشعوب المتحررة .

اننا ندين اسرائيل لكافة سياساتها الغير القانونية . عليها ان تتحمل كل المسؤولية وكافة المضاعفات ، تشاركها في ذلك الامم المتحدة اذا استمرت في الجمود والتخاذل . ان مصير ٢٦٢،٠٠٠ من العرب في اسرائيل ليس موضوعا تافها ، انه موضوع يمس العدالة والعقل والمنطق .

ان الهدوء والسلام في المنطقة ، وكذلك المصير المجهول لاسرائيل ، يعتمد على سلوك قادة اسرائيل وحدهم .

مجلس المديرين
منظمة الارض

ماذا في كتاب اسرائيل السنوي الجديد ؟

ذكرت صحيفة « هاآرتس » الاسرائيلية ان الكتاب السنوي الاحصائي عن اسرائيل لسنة ١٩٦٤ حوى الحقائق التالية :

١ — طول حدود اسرائيل البرية ٩٨٥ كيلومترا .

٢ — ١٦ ٪ من اليهود في العالم يقيمون في اسرائيل .

٣ — في سنة ١٩٦٣ زاد عدد السكان في الجنوب ١٢ ٪ ، وفي منطقة تل ابيب ٣ ٪ .

٤ — لا يزال ٣٥ ٪ من سكان اسرائيل متمركزين في منطقة تل ابيب و ١٠ ٪ منهم يقيمون في جنوب اسرائيل .

٥ — ازدحام السكان في منطقة تل ابيب بمعدل ٢ر٤٤٢ نسمة للكيلومتر المربع الواحد ، و ١٧ نسمة للكيلومتر المربع الواحد في الجنوب .

٦ — ٥٨ ٪ من السكان غير اليهود مركزون في اللواء الشمالي .

٧ — في نهاية سنة ١٩٦٣ كان في اسرائيل (٢٣٠) مستعمرة من طراز كيبوتس ، وفيها سكان عددهم (٨٠،٠٠٠) نسمة ، و ٣٦٧ مستعمرة من طراز موشاف ، وسكانها (١٢٣،٠٠٠) نسمة .

٨ — والسكان غير اليهود يؤلفون ١١ ٪ من مجموع السكان في اسرائيل .

٩ — والاحداث من سن صفر الى ١٤ سنة يشكلون ٣٥ ٪ بين اليهود ، و ٥١ ٪ بين المسلمين ، و ٤٠ ٪ بين النصارى ، و ٥٠ ٪ بين الدروز .

١٠ — ٣٩ ٪ من اليهود هم من مواليد اسرائيل ، كما كان الوضع حتى نهاية سنة ١٩٦٣ .

١١ — ١٤ ٪ من يهود اسرائيل هاجروا اليها قبل سنة ١٩٤٨ ، و ٢٩ ٪ هاجروا اليها خلال سني ١٩٤٨ — ١٩٥٤ ، و ١٨ ٪ هاجروا اليها خلال سني ١٩٥٥ — ١٩٦٣ .

١٢ — معدل الحياة في اسرائيل بين الذكور اليهود ٧١ سنة ، ومن الاناث ٧٣ سنة .

١٣ — معدل عمر الزواج في اسرائيل ٢٢ سنة .

١٤ — معدل العمر لانجاب الوليد الاول ٥ر٢٣ سنة .

١٥ — معدل الخصب لدى المراة اليهودية ٤ر٢ ، ولدى المراة غير اليهودية ٨ر٧ .

وهذا يعني انه بعد جيل واحد سيزداد السكان اليهود ٦٠ ٪ تقريبا زيادة طبيعية ، في حين يزداد السكان غير اليهود ٢٦٠ ٪ تقريبا .

١٦ — معدل المواليد بين اليهود آخذ بالهبوط المستمر ، وخاصة بين المهاجرين من آسيا وافريقيا . ومعدل الخصب بين النساء المهاجرات من أوروبا ٣ر٢ .

١٧ — تم في اسرائيل ١٤٫٧٣٧ عقد زواج في سنة ١٩٦٢ . ويشكل الزواج المختلط بين المهاجرين من الدول الشرقية والمهاجرات من الدول الغربية ١٥ ٪ فقط من مجموع هذه العقود ، وكان يجب ان يكون ٥٠ ٪ .

اسئلة واجوبة

في آخر حلقة من سلسلة محاضراته الثلاث عن الحركة الصهيونية ، في الولايات المتحدة اجاب الدكتور فايز صايغ اجابات سريعة ، موجزة ومكثفة ، على اسئلة المستمعين الذين احتشدوا باعداد غفيرة في قاعة المحاضرات وتسجل فلسطين فيما يلي الاسئلة والاجوبة لانها تضع تحديدا ممتازا ومكثفا لمواقف سليمة تجاه عدد من اهم القضايا التي تطرح عادة اثناء مناقشة المسألة الفلسطينية .

سؤال : لماذا توجه الحركة الصهيونية جل جهدها للولايات المتحدة الاميركية ؟

● جواب : لان يهودها هم اغنى يهود العالم .

سؤال : هل لاسرائيل اي دخل في طلب قوات للطوارىء الدولية في غزة ؟

● جواب : نعم – لاظهار العدوان الاسرائيلي عام ٩٥٦ وكأنه دفاع عن النفس .

سؤال : قيل ان الكاردينال بيا هو المحرك الاول لوثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح . ما هو تعليقك ؟

● جواب : اعتقد ان الحركة الصهيونية هي المحرك الاول ، والدافع الاساسي لاصدار مثل هذه الوثيقة .

سؤال : هل تعتقد انه بتغيير وجهة النظر الاميركية تجاه القضية الفلسطينية سنحلها لصالح العرب ؟

● جواب : كلا ، ونحن لا نريد الحل عن هذا الطريق .

سؤال : هل العرب هم الاعداء الوحيدون للصهيونية ؟

● جواب : كلا ، ان اولية العداء للصهيونية هي لليهودي الذي يهدف الى الاندماج في البيئة غير اليهودية التي يعيش فيها .

?

تتمات

ص ٣

تتبادل فيها المصالح – مثلا لقاء مساعدة اميركا لها ، وتستغل اتصالاتها ورجالاتها في العالم الشيوعي لاعمال التجسس والتخريب بل ولاشعال الثورات (ثورة المجر) ، لقاء مساعدتها لالمانيا في استبقاء الدعم الاميركي لاعادة توحيد المانيا ، ولتسليحها بالاسلحة الذرية من خلال صيغة كصيغة القوة النووية المختلطة ، تحصل من المانيا على التعويضات ، ومن ثم على السلاح ، وقبل ذلك – لقاء مساعدتها للاتحاد السوفياتي في الحصول على الاسرار الذرية ، استطاعت في فترة ما ان تنتزع منه تصويتا في جانب التقسيم عام ١٩٤٧ ، ومن ثم اعترافها بقيام اسرائيل عام ١٩٤٨ . الا ان ارتماءها في احضان اميركا بعد ذلك لحاجتها المستميتة الى مساعدتها المالية والعسكرية ، ومغازلتها لالمانيا ، وحملتها التخريبية تبعا لذلك في دول المعسكر الشرقي ، قطعت منذ وقت ما ، الحوار الايجابي بينها وبين الاتحاد السوفياتي . الا انها من جانبها اعربت مرارا عن الرغبة في استئناف هذا الحوار ، والظاهر انها لم تنجح .. لانه ليس لديها ما تقدمه في المقابل ، من جهة ولان السياسة العربية – اي سياسة الجمهورية العربية المتحدة – اوجدت حوارا اعمق ، ووحدة اقوى ، مع الاتحاد السوفياتي .

بنفس المنطق فان اسرائيل محليا تعرض خدماتها على كل دولة ذات مصلحة في الوطن العربي فتتبادل واياها مصلحة بمصلحة . واهم ما تقدمه في هذا الصدد تأخير الوحدة العربية واستبقاء الفصل الجغرافي بين اجزاء الوطن العربي – مما ينتزع من العرب امكانيات استعادة ثرواتهم (البترول) واستعمال كامل الامكانيات التي يمتلكونها بفضل موقعهم الجغرافي والحضاري الفذ في العالم .

ماذا تستطيع السياسة ان تفعل ؟ تستطيع ان تحجب عن اسرائيل بعض الموارد وتسد عليها بعض الامكانيات . ولكن موارد اسرائيل ليست محصورة برقعة الارض التي تحتلها فلسطين ، بل تلك جانب من مواردها . اسرائيل افعى ذات رؤوس متعددة ، احدها في ارضنا المحتلة ، ولكن بينها رأس في نيويورك ، ورأس في لندن ، ورأس في باريس ، ورأس في طهران .

وبالتالي فان ما تمنعه السياسة العربية عن اسرائيل من الموارد ، يعوض عليها ، بشكل او بآخر من احد مراكز وجودها .

ان اسرائيل لم تتراجع عن مكسب حققته طيلة السنوات التي انقضت منذ تأسيسها واستدارت حول العقبات التي وضعناها في طريقها . ورغم المقاطعة مثلا ، استطاعت ان توسع اقتصادها .. وتستوعب المهاجرين اليها ، وتوفر لهم العمل ، واخذت تقترب من موازنة اقتصادها على المستوى المعيشي الذي

حددته لنفسها ، اي دون تضحية بمستوى المعيشة (تستطيع في اي لحظة تحقيق هذه الموازنة اذا ارتضت تخفيض مستوى المعيشة) .

وزادت سكانها وقوتها ، وتقدمت في تقنولوجيتها ، ووصلت الى نقاط كثيرة في افريقيا ، رغم محاولتنا منعها او اخراجها ، وشقت ممرا في خليج العقبة .. وانشأت انبوبا للبترول بين العقبة وساحل البحر الابيض المتوسط ، وسطت على مياه الاردن ، وحولت بالفعل – حولت – جانبا منها الى النقب ، واستولت على مواقع كثيرة من الاراضي الحرام والمجردة السلاح على طول خطوط الهدنة .

ان العمل السياسي قادر على ان يضايق اسرائيل ويزعجها بدون شك . ولكنه لا يستطيع اكثر من ذلك . والدول تستطيع ان تبقى ، بل وان تحقق المكاسب ، رغم المضايقة والازعاج .

غير ان هناك وجها ثانيا لمنطق العمل السياسي لا بد من استعراضه . نتصور ان هذا المنطق يضع المسألة على الشكل التالي : ان هدف العمل السياسي الدينامي هو ضرب حصار حول اسرائيل يمنعها من التوسع . فاذا استطعنا بالاستعداد الدائم ، وتأمين التفوق العسكري – السياسي ان تمنع اسرائيل من التوسع ، واذا استطعنا ، في ظل الحصار ان ننمي اقتصادنا ، ومجتمعاتنا كلها ، ونسمها بالتغيير الثوري ، والتقنولوجي ، واذا استطعنا تحقيق نوع من الوحدة العربية تحكم النطاق حول اسرائيل ، وتضاعف امكانات التقدم العربي الثورية سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ، فاين تذهب اسرائيل ؟ ماذا تستطيع ان تفعل في رقعتها الضيقة ، وسكانها المحدودين . مهما كانت قوتها ، قوة الصهيونية العالمية من ورائها ، فستدرك في النهاية انها تورطت في وضع لا امل فيه .

ان اخطر ما في المنطق انه مبني على افتراضات كثيرة لا تتحقق كلها . ولو تحققت كلها فما هي يا ترى نهاية السلسلة . انهايتها الافتراض الذي استعرضناه في اول البحث بان اسرائيل ستضمحل ، وتموت موت العجوز او المريض الميئوس ؟ اذا كان الجواب لا فالمعنى الحتمي قبول بوجود اسرائيل ولكن الخطر لا يمكن في نهاية هذه السلسلة ، بل في كل حلقة من حلقاتها .

اسرائيل وجود دينامي لا اخلاقي ، متحفز دوما للانطلاق . وعصرنا التقنولوجي مليء بالمفاجآت بيد اسرائيل ، قبل ان تقع بايدينا . وعلينا ان نتأكد بيقين ما بعده يقين ، انه اذا حصل ذلك فستستغل اسرائيل هذا الوضع استغلالا كاملا لتحقيق مزيد من اهداف التوسع وضرب الوجود العربي .

ان المنطق السياسي المتقدم لا يفترض ان العرب سينتهزون فرصة تلوح لحظة من الزمن لضرب اسرائيل عسكريا .. لهو موقف سياسي صرف . ولكن من المؤكد ان اسرائيل متحفزة دوما لانطلاق عسكري . واذن فان مزيج الصدف والمفاجآت قد يهيء فرصة لاسرائيل لتقضي علينا ، دون ان ننتظر منه ان يهيء فرصة تلوح لنضربها نحن ونقضي عليها ، لانه بحكم التعريف موقف سياسي غير عسكري . ان الذي يتحين فرصة ليقتل قد تتهيأ له الفرصة ، فيقتل وينتهي الامر . اما الذي يحتاط ليتقي فحسب ، فقد يساعده الحظ الطيب فيتقي فحسب ، او تحصل عنده غفلة او تراخ ، او ثغرة لم يحسب لها حساب ، فلا تنفعه الحيطة .

ان من يعمل بعقلية «قاتل او مقتول» كما تعمل اسرائيل ، دون شك ، لا يجابه بالحيطة وحدها ، وانتظار فعل الزمن . ومن احتاط – فحسب ، في مواجهة من يعمل بعقلية « قاتل او مقتول » ، فلا يظنن ان الزمن في جانبه . اذا نجا فانما ينجو بحسن حظه ، وان قتل فانما يقتل بتدبير خصمه . –

برهان الدجاني

ص ٥

يتبع فيها اليهود هذه السياسة لافساد عقائد الناس واستغلالهم .

وبناء على هذا الامل الذي يتحقق بعد رتب المجمع المسكوني نتائج لها صبغتها الدينية والسياسية عندما قال : لهذا يجب على الجميع ان يراعوا ، سواء عند تلقين الدين المسيحي او نشر كلمة الله او في المحادثات اليومية عدم اظهار الشعب اليهودي كأنه ملعون او القيام بما يباعد بين الناس وبين اليهود . ويجب بالاضافة الى ذلك ان نحرص اشد الحرص الا نعزو الى يهود عصرنا ما ارتكب من اعمال ايام عذاب السيد المسيح .

وهكذا فتح الباب على مصراعيه امام الحركة الصهيونية لتشهر بكل انسان يجرؤ ان ينتقد الشعب اليهودي ، او اسرائيل ، او اي فرد من افراد اليهود ، وستشهر كذلك باي فرد يتخذ موقفا سلبيا من الامور اليهودية لان هذا الموقف يباعد بين الناس وبين اليهود . وهكذا سيظهر الى الوجود اصطلاح جديد مماثل لاصطلاح اللاسامية وستستغله الحركة الصهيونية كما استغلت اللاسامية من قبل . ان المسكوني وستنسب اليه الكراهية لليهود ، وستعقد المؤتمرات الكاثوليكية الصهيونية المشتركة ولجرؤ كاثوليكي واحد يدعي لهذه المؤتمرات ان يتخلف وخصوصا اذا كان من رجال الدين او السياسة .

والامر الذي يلفت النظر في صياغة العبارة الخاصة بتبرئة ابناء هذا الجيل من اليهود من دم السيد المسيح ان هذه العبارة عندما اشارة الى اعمال التعذيب تعمدت التجهيل بالشعب الذي ارتكبها ذلك ان الوثيقة قد استعملت فعل ارتكب المبني للمجهول ، مع لا جدال في ان اليهود هم الذين ارتكبوا اعمال التعذيب هذه . وهكذا يتسع المجال للحركة الصهيونية لتؤكد ان الرومان القدماء الوثنيين ، لا اليهود ، هم المسؤولون عن تلك الافعال نظرا لانهم هم الذين كانوا يحكمون فلسطين حينئذ . وسيستغلون في سبيل الترويج لهذه الفكرة او ما شابهها كل ما لديهم من وسائل اعلام ودعاية ، كما سيستغلون عدم تعمق غالبية الناس في معرفة ما جاء بالكتاب المقدس . واذا تجرأ احد وقال ان اليهود هم الذين عذبوا السيد المسيح فانه بعد هذه الوثيقة التي تعمدت عدم الاشارة الى اليهود في هذا المقام ، سيتهم باثارة الحقد والكراهية ضد اليهود .

وقد تعمدت الوثيقة في كل مناسبة ان تستعمل عبارة الشعب اليهودي ولن تفوت على الحركة الصهيونية فرصة استغلال هذه العبارة في وجه كل من يشكك في وجود هذا الشعب ووصف ابنائه بانهم اتباع دين فقط وانهم لا يكونون شعبا بالمعنى السياسي الحديث وستستعمل الحركة الصهيونية هذا السند لا ضدنا فقط وانما ضد المنشقين على الحركة الصهيونية من اليهود .. فكيف يجوز لليهود الا يعتبروا انفسهم شعبا واحدا وكاثوليك العالم يعدون حوالي ٦٠٠ مليون نسمة يعتبرونهم كذلك .

لقد اشرنا فيما سبق بايجاز الى بعض النواحي التي ستستغلها الحركة الصهيونية في دعايتها ونشاطها . في هذا ستضرب على اوتار مختلفة وستسلك مسالك متعددة وستحرف الكلام عن مواضعه وستلجأ الى كافة الاساليب من مصادقة الى اغراء الى تشهير الى تهديد. انها ان تقف عند حد في استغلال هذا الكسب السياسي مهما كانت نية لا اخلاقية لا تتورع عن شيء ولا تقف واضعي الوثيقة . فالصهيونية حركة عند عمل .

وقد حاول البعض عن حسن نية دون شك بمنطق الشرفاء ان يستخلص ان البيان المسكوني قد يكون في صالح العرب وضد الصهيونية مستندا الى ان الحقد والكراهية اللذين تعيش عليهما الصهيونية قد شجعها البيان ، وان في استطاعة اليهود الان ان يعيشوا حيث هم في سلام وامان . ان هذا المنطق الشريف يتجاهل طبيعة الحركة الصهيونية واهدافها ووسائلها . فالثابت ان الحركة الصهيونية ذاتها تصطنع حوادث الحقد والكراهية اذا رأت ضرورة لذلك .. انها لا يهمها من اجل تحقيق اغراضها . ان تثير الكراهية لليهود لتحملهم على الهجرة الى اسرائيل . وللحركة الصهيونية عملاء متخصصون في هذا المجال . وباصطناع هذه الحوادث تستطيع الحركة الصهيونية او تؤكد لليهود انه لا راحة لهم ولا حرية الا في اسرائيل وان الوثيقة المجمع المسكوني لم تحدث التغيير المرتقب في نفوس الناس .

اننا لا نستطيع ان نطبق منطق الشرفاء بالنسبة الى الحركة الصهيونية .. والمهم في الموضوع ليس ما نعتقده نحن في الوثيقة وانما كيف ستستغلها اسرائيل والحركة الصهيونية . وفي استغلالها ذاك لا مجال للالتزام بمبادىء اخلاقية . فالحركة الصهيونية هدفها دعم اسرائيل بعد ان قامت وتهجير اليهود اليها ، وفي سبيل هذا الهدف لا يقف اي اعتبار او مبدأ او خلق .

يجمل بناء الا نكون بسطاء حسني النية الى هذا الحد ونحن نقف وجها لوجه مع حركة معقدة ملتوية سوداء النية .

العدد القادم : مناورات اسرائيل مع الفاتيكان

استغلت اسرائيل زيارة البابا للاراضي المقدسة الى ابعد حد .. واغرقت العالم بصور من هذا النوع

فن حرب العصابات كما سجلته تجارب الفيتنام

هذا هو البحث الثاني في نطاق الدراسات الموجزة التي تقدمها فلسطين عن تجارب حروب العصابات في العالم ، وهو بحث كتبه احد كبار قادة حروب العصابات في الفيتنام التي ادت الى طرد فرنسا في الهزيمة التاريخية الشهيرة .

ان فلسطين ترغب في ان تكرر ، مرة اخرى ، اعتقادها بان الاستفادة من هذه الابحاث يكمن في اخذ طبيعة المعركة الفلسطينية وشخصيتها بعين الاعتبار اثناء الاستفادة من تجارب حروب العصابات العالمية .

في البلد المحتل والمتأخر حيث يشكل الفلاحون القوة الرئيسية بين السكان ، يجب ان يتكون جيش التحرير بعناصره الاساسية من الفلاحين .

في هذا البلد المتأخر لا توجد عادة قوة عسكرية فعالة ، انما توجد مجموعات من المقاتلين تمتلك اسلحة عادية ، ولا تمتلك خبرة حربية ، بينما يمتلك العدو قوة حربية واقتصادية رئيسية .. ففي الفيتنام كانت الولايات المتحدة الاميركية تشكل السند القوي لقوات الاحتلال الفرنسي .

ولهذا فان حرب التحرير في الفيتنام كان مقدرا لها ان تكون حربا قاسية وطويلة الامد لتؤدي الى النجاح في خلق الظروف المؤدية للنصر . ان المفاهيم التي انبعثت من اليأس وهدفت الى تحقيق نصر سريع ، ان هذه المفاهيم هي مفاهيم خاطئة جملة وتفصيلا . لقد كان من الضروري تبني استراتيجية مقاومة طويلة المدى للمحافظة على وزيادة مناعة المقاتلين ، بينما نقوم في نفس الوقت بنهش وتحطيم قوى العدو تدريجيا . لقد كان من الضروري ان نجمع الف انتصار صغير لنحولها الى انتصار واحد عظيم ، لقد كان من الضروري ان نغير بالتدريج ميزان القوى ، ان نغير ضعفنا الى قوة ، وان نقود قواتنا الى النصر الحاسم .

ان استراتيجية تستند الى مدى طويل لا بد وان تتضمن عدة مراحل بدءا بمرحلة المناوشات انتهاء بمرحلة الهجوم المضاد مرورا بمرحلة التوازن . اما الطريقة التي يمكن بها اخراج هذه المراحل الثلاث ، فهي غامضة ومعقدة وتعتمد في الواقع على الظروف الخاصة التي تقع للطرفين خلال سير العمل .

ان الحرب طويلة الامد هي السلاح الوحيد الذي يجعلنا نستفيد الاستفادة القصوى من مناوراتنا السياسية ودعايتنا في الخارج ، ان نتغلب على صعوباتنا المادية ، وان نحول ضعفنا الى قوة .

لقد كان مبدأ الحفاظ على زيادة عدد قواتنا هو المبدأ الرئيسي الذي التزمنا به تماما . لقد اكتفينا بالهجوم حين كنا نتأكد من ان النجاح حليفنا ، وكنا نرفض الانغمار في عمليات طائشة . لقد كان واجبنا ان نبني قوتنا من خلال الكفاح اليومي .

ان اسلوب القتال يجب ان يتكيف مع الظروف .. كان علينا ان نرفع من روح طلائعنا الى اقصى حد ، وان نعتمد على بطولة قواتنا لنتغلب على التفوق المادي للعدو . كانت حرب العصابات هي افضل اسلوب للقتال في الضواحي والاماكن البعيدة . لقد ادت هذه الحرب الى نجاحات كبيرة في معركة التحرير .. كان ممكنا ان نشغل حرب العصابات في الجبال، في الساحل، او في السهل باسلحة عادية او جيدة ، وبدون اسلحة في بعض الحالات .. وكانت تمكننا ان نجهز انفسنا من العدو نفسه . لقد كان لكل اقليم قواته التي تحارب تحت امرة فرع المنظمة في ذلك الاقليم .. كانت قوات العصابات تعمل جنبا الى جنب مع القوات النظامية لتنهك العدو .

ومع مرور الوقت تحولت حرب العصابات الى حرب نظامية ولكن مع الاحتفاظ بتكتيك العصابات .. وفي هذه الاثناء كان الجيش ينمو ويكبر بالعدد والعدة.

لقد برهنت الحرب ، ومن الناحية العسكرية ، ان جيشا غير مجهز كما يجب يحارب من اجل قضية عادلة قادر، بالاستراتيجية والتكتيك المناسبين ، ان يقهر الجيش الحديث .

في ادارة حرب في بلد متخلف ولفترة طويلة من الوقت تبرز قضية بناء قواعد خلفية .

تعتمد حرب العصابات على مجموعة من المبادىء الاساسية من بينها :

١ – تجنب العدو حين يكون قويا والهجوم عليه حين يضعف .

٢ – التفرق الفوري ، التجمع السريع ، الابادة السريعة للعدو .

٣ – الاستعداد للحرب في اي مكان بحيث انه حينما يذهب العدو يجد جيشا من المقاتلين .

ولقد بذل العدو عدة محاولات ضخمة جدا ليقف في وجه نشاطنا المتزايد فشن هجمات منظمة بقوات ضخمة جدا ليقضي على وحداتنا المقاتلة ، ليحطم قواعدنا السياسية ، وليتلف ممتلكاتنا .

وذلك يعود الى ان حرب العصابات من الناحية الاستراتيجية ترهق العدو وتصيبه بخسائر كبيرة . ولكن ، حتى نتمكن من تدمير قوة العدو وتحرير ارضنا ، فان حرب العصابات يجب ان تتحول تدريجيا الى حرب نظامية . لقد تشكلت قواتنا عبر الكفاح المسلح .. كنا نقاتل بوحدات صغيرة ، ثم بوحدات اكبر .. كنا نحارب في اماكن متفرقة ، واصبحنا نركز هجماتنا على نقاط رئيسية . لقد تحولت حرب العصابات الى نوع جديد من الحرب يمكن ان نطلق عليه اسم « الحرب النظامية المتحركة » حيث تدور معارك حقيقية بتكتيك حرب العصابات .

ان هذا الاسلوب من الحرب يعني المقاتلة بقوات مركزة من الجيش النظامي على جبهة واسعة جدا ومهاجمة العدو حين تكون مواقعه مكشوفة والتقدم بسرعة وعمق والانسحاب بسهولة وخفة . ان هذا النوع من القتال يتصف بالحركية القصوى ، والمبادرة ، والسرعة في اتخاذ القرارات في الظروف الجديدة .

ومع استمرار حرب المقاومة بدأ الدور الاستراتيجي « للحرب النظامية المتحركة » يأخذ اهميته .. لقد كان هدف هذه الحرب تدمير اعداد كبيرة من قوات العدو لنبني قوتنا .. وكان هدف حرب العصابات هو انهاك وتدمير احتياطي وقواعد العدو . لقد سار هذان النوعان من الحرب سويا اذ انه لا يمكننا ان نصد هجمات العدو الرئيسية وان نحمي قواعدنا ومناطقنا الخلفية ونمتلك زمام المبادرة دون ان ندمر قوات العدو .. ان حرب العصابات يجب ان تتسع وتمتد وان تستفيد من جميع الظروف الجديدة التي تطرحها الحرب النظامية المتحركة .. وان الحرب النظامية يجب ان تتضاعف سرعتها لتحطيم عدد اكبر من قوات العدو كما ويجب ان تخلق الظروف التي تساعد على مزيد من الانتشار لحرب العصابات . وعبر الكفاح المسلح اوجدنا تكتلات عسكرية في مناطقنا الخلفية ، بدأت تنمو مع مرور الوقت وتحتل مكانة اهم ..

ان علينا ان نحافظ على التوازن بين هذين الاسلوبين الحربيين .. لقد بدأنا بحرب العصابات ، وبعد ان اتسع مداها بدأنا بالحرب النظامية المتحركة فواجبنا في هذه المرحلة هو ان نبقي التوازن قائما بين هذه الحرب وبين حرب العصابات .. في المرحلة الثانية وبعد بدء حرب العصابات بدأت الحرب النظامية تأخذ دورها ولكن حرب العصابات ظلت هي الاهم ، وفي المرحلة الثالثة قفزت الحرب النظامية المتحركة الى الامام ، اما حرب العصابات فبالرغم من اتساع عملياتها فانها اصبحت في المرتبة الثانية من الاهمية .

ولقد كانت هناك بعض المناطق المغلقة للعدو والتي كان من الصعب علينا ان نشن فيها حربا نظامية .. هنا كانت حرب العصابات هي الاسلوب الوحيد .

ان الحرب التي تحمل استراتيجية طويلة المدى وتقوم على التوازن بين حرب العصابات والحرب النظامية المتحركة هي التي حققت النصر في فيتنام على الفرنسيين .

ولقد كان العمل السياسي يتمتع باهمية كبيرة .. لقد كانت احدى مسؤوليات جيش التحرير هي البقاء على اتصال وتماس مع جماهير الشعب .. ان الشعب هو البحر والجيش هو السمك .. لقد حارب الجيش على الجبهة ولكنه عمل ايضا لتثقيف الجماهير وتوعيتها ومساعدتها قدر امكانياته .. لقد نظم الجيش حملات لمساعدة الفلاحين في عملهم الزراعي في ايام معنية في الاسبوع ..

كما وانه من الضروري ان تقوم هناك علاقات طيبة بين الضباط والجنود وبين الضباط انفسهم .. ان الجميع ضباطا وجنود هم خدام الشعب ، هم اناس كرسوا حياتهم لخدمة اهداف الشعب .. صحيح ان لكل منهم مسؤولية محددة ولكن علاقات الاخوة والمساواة السياسية يجب ان توجد بينهم . على الضابط ان يحب جنوده.. يجب عليه ان لا يقودهم في عملهم ، انما يجب عليه ايضا ان يهتم برغباتهم وارائهم .

اما بالنسبة للجندي فعليه ان يحترم رؤساءه وينفذ اوامرهم بدقة .. ان حرب العصابات لا تعني الفوضى بل تعني المركزية الشديدة في القيادة والاوامر بالرغم من ان قادة الوحدات والافراد لهم الحق في التصرف وحدهم في بعض الحالات اذا وجدوا الظروف ملائمة ..

ان هذا الانضباط والحزم لا يتناقض مطلقا مع الديمقراطية الداخلية في الجيش ..

ان التدريب العسكري والتوعية السياسية هي مهمات الجيش الرئيسية في اوقات السلم .. ان الانظمة الحربية وفنون التكتيك تكتسب اهمية خاصة في هذا المضمار .

لقد مارس جيش التحرير في الفيتنام الديمقراطية باشكالها التالية :

١ – الديمقراطية السياسية : كانت الاجتماعات تعقد على العشب لمناقشة جميع القضايا الحربية والسياسية .. وفي هذه الاجتماعات يفتح باب الانتقاد والانتقاد الذاتي ليس من الضباط للجنود فحسب بل ومن الجنود للضباط ايضا .

٢– الديمقراطية العسكرية . في اوقات القتال ، وفي اوقات التمرين كانت الاجتماعات الديمقراطية تعقد وتعرض فيها الخطط ويسمع فيها الى الاقتراحات وتذلل فيها جميع العقبات .

٣ – الديمقراطية الاقتصادية : لقد كان الجيش بضباطه وجنود يشارك في الادارة المالية .. ان مالية الجيش هي لجميع افراده .

اما بالنسبة لتدريب الضباط فيجب ان يتم بالتنسيق مع القيادة المركزية . لقد كان الضابط يختبر عمليا في ميدان المعركة ويكتسب خبرة في انشاء جيش وفي قيادة معركة . ولكن بسبب وجود ضباطنا في ظل ظروف حرب العصابات فلا تزال تنقصهم بعض الفنون الحربية الحديثة .

لقد كان من الضروري في رأي القيادة ان جيش التحرير يجب ان يتضمن ثلاثة عناصر رئيسية :

١ – الميليشيا اي القوات الشعبية الموجودة في كل مكان .

٢ – قوات العصابات – في مؤخرة العدو .

٣ – القوات النظامية التي تتحمل مسؤولية شن الهجمات التدميرية على قوات العدو .

اما تتويج هذه الاستراتيجية فلقد كان في معركة ديان بيان فو .

العروس

عزيزي رياض ..

لا شك انك تقول الان انني قد جننت ، فهذه ثاني رسالة اكتبها لك في يوم واحد ولكنني في الواقع اكتب لك هذه الرسالة الان كي اوضح لك امرا ، لقد اكتشفت انه محض جنون ان اكتب واقول لك : ابحث معي ، حيث انت ، عن رجل طويل جدا ، صلب جدا ، لا اعرف اسمه ، ولكنه يلبس بدلة خاكية عتيقة ، ويلوح لاول وهلة كانه مجنون .

ماذا يمكن ان تفهم من ذلك كله ؟ لا شيء طبعا ، فالمرء يصادف في اليوم الواحد ، اذا ما سار في الطريق ، مئة رجل يحملون هذه الصفات ، فاي واحد منهم تراني اقصد ؟

انني على يقين انك ستكتشفه بنفسك ، فهو شيء اخر ، متميز .. كيف ؟ لا استطيع ان اقول لك ، فانا نفسي لا اعرف ولكن يخيل الي الان انني حين شهدته لاول مرة كان محاطا بما يشبه الضوء ، نعم ، كان محاطا بشيء يشبه الغبار المضيء ، واعترف لك انني لم اتاكد من ذلك تماما حين استوقفني لحظة واحدة في الطريق ، الا انني اكاد اكون متيقنا الان ان ذلك الرذاذ المضيء الذي كان يحوط جسده الضخم هو الذي رسخ صورته في ذهني ، والا كيف تفسر انني ما زلت اذكره . وما زال يلح علي ، من بين مئات الرجال الذين يقابلهم الانسان في الطريق كل يوم ، ثم يذوبون من راسه وينعدمون ؟.

ورغم ذلك فانا اعرف ، هذه اللحظة ، انك ما زلت تعتقد انني شبه مجنون فحتى الان لم يتضح اي شيء ، وما زلنا حيث كنا في الرسالة الاولى : ابحث معي حيث انت عن رجل طويل جدا ، صلب جدا ، لا اعرف اسمه ، ولكنه يلبس بدلة خاكية عتيقة ويلوح لاول وهلة كانه مجنون .

كل الذي اضفته هذه الصفات تلك الصفة المعقدة الجديدة : انه محاط بشيء اسمه الغبار المضيء !.

معك حق ، ولكنني اكتب لك هذه الرسالة الثانية في يوم واحد لتعرف القصة بكاملها ، ذلك انني رأيت انه صار من حقك ، وقد طلبت منك مشاركتي في البحث عنه ، ان تعرف ما اعرفه .

لست افكر بالضبط متى رايته لاول مرة ، ولكنني اذكر تماما كيف رايته : مثل انسان ضيع شيئا كان يسير محنيا بعض الشيء ، بكفين مفتوحتين متحفزتين ، وعينين تنقبان وجوه الناس كانهما محزتين عتيقين ، لقد بدا لي لاول وهلة وكانه مجنون ، وحين مر بي نسيته ، ولم اذكره الا حين رايته مرة ثانية ، اقتلعتني عيناه فجاة واحسست نفسي اطوف فوق موجة تستعصي على الرؤيا ، ولست ادري الان ما اذا كنت انا الذي ذهبت اليه مسوقا بذلك النداء العميق المنبعث من عينيه كتيار لا يقاوم ام انه هو الذي جاء الي ، وعلى اي حال فقد وضع كفه الكبيرة على كتفي وسال :

— هل رايتها ؟.

— رايت ماذا ؟.

— العروس ؟

وطبعا تيقنت لحظتذاك انه مجنون ، وان ما انتابني امام عينيه القاسيتين هو ما ينتاب اي انسان يجد نفسه هدفا لعيني رجل مخلوع عن العالم والمعقول ، ولذلك اخترت الهروب الاسهل فقلت له :

— كلا ، لم ار العروس ..

وعندها سقطت يده من تلقائها الى جنبه واستدار ، الا انني سمعته يقول ، كانما لنفسه :

— كلكم تقولون هذا ، منذ عشر سنوات .

وحين ابتلعه الزحام ، يا رياض ، شعرت بان جسده الضخم كان محاطا بذلك الشيء الذي يشبه الغبار المضيء ، كما رسمته الوان كبار فناني عصر النهضة حول جسد الاله وهو يقدم عونه للفقراء ، على بطاقات الاعياد التي كنا نتلقاها معا .

وعبثا حاولت اللحاق به : ان مثل هذه الامور لا تحدث الا كلمح البصر ، لقد نقبت الشارع صعودا ونزولا ، قابلت مئات من الرجال الذين يشبهونه تماما ، ولكنه ، هو نفسه ، كان قد اختفى !.

عنه ، ابحث الان ، وعنه ايضا اطلب منك مشاركتي البحث ، اعرف انك تبعد عن هنا اكثر من الف ميل ، ولكن ما الذي يمنع ذلك الرجل ان يسير ، محاطا بذلك الضوء المجهول ، اكثر من الف ميل وهو يبحث عن .. العروس ؟

★★★

قبل ان اسالك سالت غيرك ، لم الجأ اليك الا لانني ، منذ رأيته ، الجأ الى كل من اعرفه ، استوقف كل من تربطني به ادنى علاقة واساله عنه ، اصارحك القول يا رياض ، لقد مضى بي الامر الى ابعد من ذلك .

ذات ليلة قلت لنفسي : اذا كان ذلك الرجل قد داب على سؤال الناس عن العروس منذ عشر سنوات ، كما قال ، فان الشيء المؤكد تماما ان كثيرا من اولئك الناس الذين سالهم ينتابهم ، الان ، ما ينتابني ، وكنت اسير ذات يوم في الطريق حيث التقت عيناي بعيني عابر لا اعرفه ، ودون ان اعرف ما الذي انوي فعله مضيت الى الرجل فاستوقفته ، ووضعت يدي على كتفه وسألته :

— هل رأيت العروس ؟

ونظر الي هنيهة ، شيء مؤكد انه حسبني مجنونا فقال لي :

— كلا ، لم ار العروس .

منذ ذلك يا رياض ، وانا استوقف كل من اجد في عينيه انتظارا ونداء ، اضع يدي على كتفه وساله :

— هل رأيت العروس ؟

سمني مجنونا ، ولكن هذا هو الذي حصل ، وقد استطعت ، عن هذا الطريق ان اعرف الكثير عن الرجل ، وعن « العروس » الضائعة ، الا انني غير قادر على التخلص من تلك القوة المجهولة التي تدفعني نحو عيون العابرين لاسالهم عن العروس الضائعة .

الان دارت الدورة ، او انا الذي درتها ، لست ادري ، ولا بد من ان اعود الى نقطة البدء ، الى ذلك الرجل المحاط بما يشبه النور ، والذي ، من شفتيه وعينيه وتحت كفه الثقيلة ، سمعت ذلك السؤال لاول مرة في حياتي ، نعم ، يا رياض ، لا بد لي من رؤيته ، فلدي اخبار عن « العروس ».

★★★

كان من قرية « شعب » ، شابا لم يكن قد ضيع شيئا بعد ، ولكنه لم يكن ، عند ذاك ، قد وجد اي شيء ، ايضا .

لا بد ان قصته قد بدات في يوم ما من ايام حزيران الاولى عام ١٩٤٨ ، كان القتال الدموي قد استمر بلا انقطاع طوال اكثر من ستة شهور ، وكان هو — وانا ما زلت اجهل اسمه — سيد الذين يندفعون الى القتال ، هجوما كان امنجدة ام دفاعا الا انه كان يشترط ان يعرف موعد العمل قبل بدئه بساعتين على الاقل ، كي يكون امامه متسعا من الوقت للتفتيش على من يقبل ان يعيره سلاحا ، بندقية خديوية ، او انكليزية ، او حتى قنبلة يدوية .

وكانت الامور ، على هذه الشاكلة ، مقبولة من كافة الاطراف ، فغالبا كان يأخذ معه الى الرجل الذي ينوي ان يستعير منه سلاحا رفيقا يتعهد امامه بان يعيد السلاح الى صاحبه اذا ما مات صاحبنا اثناء العمل ، كان حريصا ان يتعامل معاملة مصارف محترمة ، رغم انه لم يشهد في حياته مصرفا محترما او مصرفا ، وهكذا فانه لم يواجه طوال تلك الشهور الستة مشكلة حقيقية في هذا المجال ولذلك لم يفكر بالحصول على سلاح خاص ، وربما امتنع عن التفكير بالحصول على ذلك السلاح الخاص بسبب عجزه عن شراء سلاح .

لم اعرف بعد من الذي زرع في رأسه ، في احد تلك الايام الاولى من حزيران ، ان عليه الحصول على سلاح ، وكان هذا الراي سليما تماما ، فقد تركز القتال بصورة جادة في الجليل ، والقى العدو ثقله هناك ، وابتدأت انهار المهاجرين تسيل في التلال نحو الشمال ، وبدا كل شيء وكانه يقف على الحافة .

لا شك أنه كان اصلب من ان يتردد كثيرا ، فقبل ان ينتهي الاسبوع الاول من ذلك الحزيران كان قد عقد عزمه

بصورة ليس بالوسع زحزحتها ، لقد سل مسلاحه في معركة لم اهتد الى اسمها بعد لاحد رفاقه ومضى يزحف تحت غيوم راعدة من النار ، كان على يقين بان بعض جنود العدو في خطوطهم الامامية قد قتلوا ، وانه لو انتظر الى نهاية المعركة لفقد فرصته ، كان يعرف انهم يسحبون جنودهم بالحبال بعد انتهاء القتال .

وقد استطاع ان يصل بالفعل الى

الخنادق المحروقة ، كانت العتمة ثقيلة ، ولكنه اسة طنفسه في احدى الحفر ، وباسنانه فك يد القتيل عن بندقيته ، وتفحصها هناك على ضوء الحرائق والانفجارات ، ومضى عائدا الى رفاقه .

وسرى الخبر في كل القرى سريان النار ، ليس لانها كانت الحادثة الاولى من نوعها ولكن لان البندقية التي جاء بها كانت بندقية نادرة .

لن اطيل عليك كثيرا ، لقد استدعي في اليوم التالي الى القيادة التي كانت تعسكر في قرية مجاورة ، كان الضابط قد سمع عن البندقية وحين شهدها امامه ، بين كفي الرجل ، فتح عينيه على وسعهما :

— هذه مرتينة تشيكية ..

وانحنى الواقفون ينظرون الى البندقية الجديدة والذي كان فولاذها

يلتمع تحت قنديل الغرفة : كان ذراعها ذا لون بني كامد ، وكان حزامها الخاكي جديدا تماما ، مجدولا بعناية لا تصدق ، وكان مشطها الكبير يعلو زنادها كانه التاج .

وجاء صوت من طرف الغرفة الاخر :

— يبدو انهم تلقوا شحنة سلاح جديدة من الشرق ، القيادة يجب ان تعرف ذلك .

وهز الضابط رأسه موافقا على ذلك الرأي ، وقرر :

— يجب ان اخذ هذه المرتينة الى القيادة .

تستطيع ، يا رياض ، ان تقدر ما حدث ، لقد تمسك صاحبنا ببندقيته ، ولكن الاوامر ، كما تعلم ، الا يصدقونكم لحون ان تأخذوا البندقية؟ الا تستطيعون تقدير قيمة الوقت ؟ اذا شئتم ذهبت انا مع البندقية !.

ولكن ذلك كله لم يكن ليجدي ، وكي يطمئن على بندقيته اقسم له الضابط ان يعيدها له ، بامشاط اضافية ، خلال يومين .

ومر اليومان ، ومر الاسبوع ، في ذلك الشهر الذي تتطاول دقائقه ويموت ناس وتسقط بلاد وتحترق مزارع وتولد في كل دقيقة حادثة جديدة ، من مركز القيادة الى المدار ومن الدار الى مركز القيادة ، ضاربا في الوعد

قصة جديدة

بقلم

غسان كنفاني

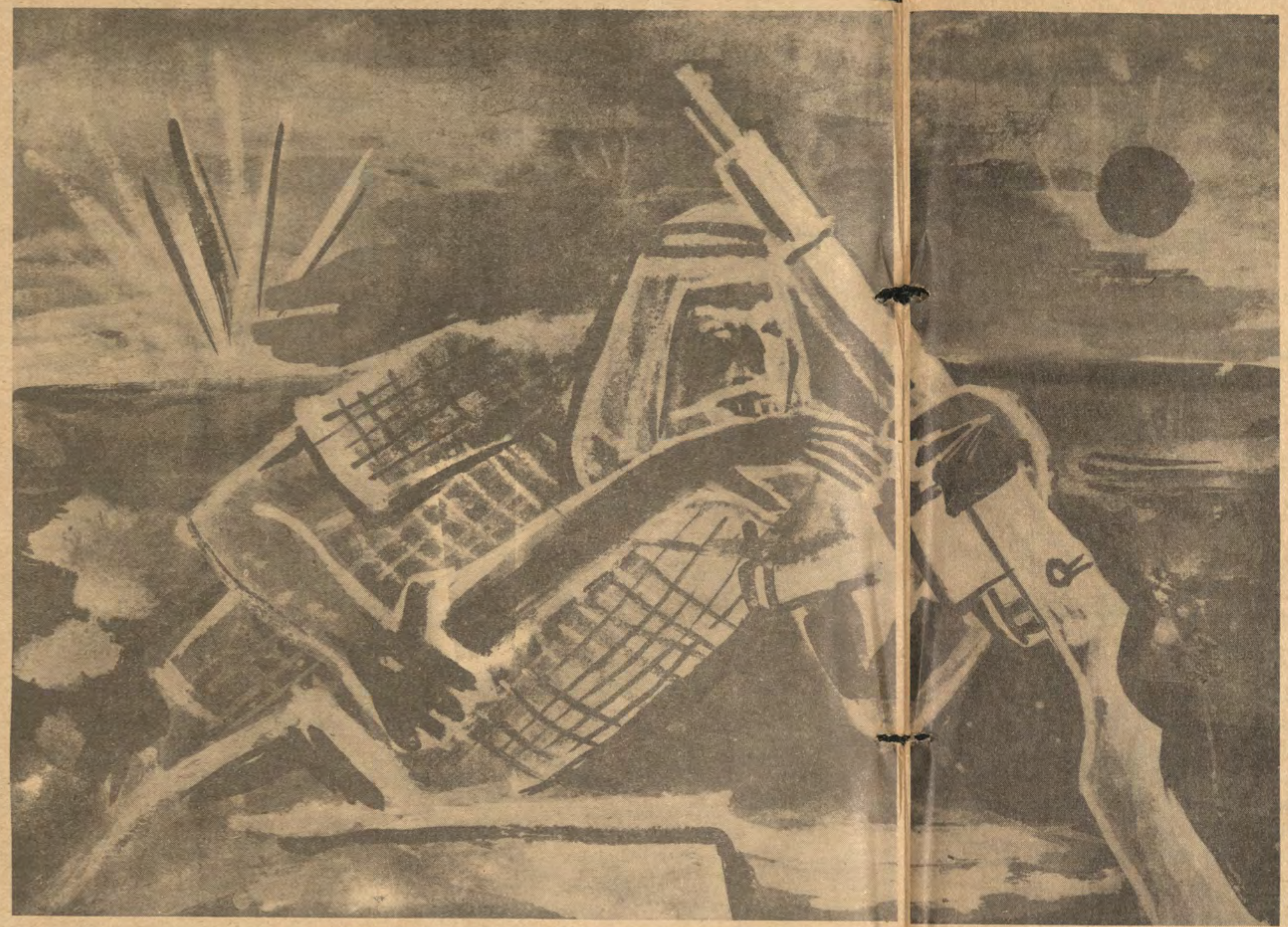

والشول ، انتظر الان وتعال غدا ، ولكن الاحداث ، كما لا شك تذكر في ذلك الشهر الحاسم ، لم تكن لتنتظر .

وقد تساقط فوقه حدثان في يوم واحد: في الصباح قيل له ان الضابط قد نقل مركز قيادته الى الشمال ، حيث لا يعرف احد ، وفي المساء تلقت شعب الضربة الاولى ، وحرثت قنابل المورتر بيوتها الطينية ، واحرقت اغراس الزيتون في لحظة كانخطاف البصر .

من الذي سيعيره بندقية في ذلك الطوفان الذي لا تنفع فيه الا البندقية ؟ هي وحدها التي كانت تستطيع ان تحمل الانسان ، عبر ذلك الموج ، الى شاطيء النجاة او الى شاطيء موت شريف ، ولذلك لم يكن امامه في ذلك الطوفان الفارق الا .. الا ماذا ؟ الا الجنون ، طبعا ، اذا صدقت انه لم يكن ليختار الفرار .

ولكنه لم يقبل الجنون ، ولا اختار الفرار ، وكان الموت هو الذي تبقى له ، ولكن حتى الموت ، خسره ، هو الذي صرف كل ايام الحرب مقاتلا في اول صف ، بسلاح معار ، بين اسنان موت حقيقي جلس هناك في شعب على حجر ، وسط الساحة ، ينظر الى البيوت تحترق ، والى الرجال يموتون ، والى اهله ينسربون مع من انسرب تحت ظلمة ذلك الليل ، الى

حيث لم يعرف ، ولا يعرف حتى الان .

وقد شاهدوه حين احتلوا شعب ، وحسبوا كما حسبت انا انه مجنون ، فضربوه باعقاب البنادق كي يغذ الخطى في الوعر ، الى الشمال .

في طول ما تبقى من الجليل مضى ، ليل نهار ، يبحث عن بندقيته ، من قرية الى اخرى ، من مقاتل الى اخر ، ينقب وجوه الناس والاشياء متعقبا اخبار البندقية التي لم يشهدها الا ساعات ، والتي كانت محشوة بالرصاص ، ولكنه لم يطلق منها رصاصة واحدة .

انت لا تعرف ماذا حدث في شعب ، قليلون هم الذين يعرفون ذلك ، ولكنه شيء ضروري ان تعرف ما الذي حدث هناك كي تدرك حقيقة القصة ، لقد مضى هو صعودا ، في قيظ لا مثيل له ، الى البروة ، ومن هناك الى مجد الكروم ، الى البعنة الى دير الاسد الى كسرة الى كفر سميع ، متعقبا اخبار بندقيته خطوة خطوة ، من قصة الى اخرى ، من رجل الى اخر ، وحين وصل الى ترشيحا جاءته اخبار جديدة من شعب : ان الاربعين مقاتلا الذين تبقوا من رجال شعب ذهبوا الى قيادة جيش الانقاذ في الشمال ليعرضوا انفسهم كمقاتلين في صفوفه ، وحين علموا ان خطة زحف الجيش لن تمر في شعب عادوا الى هناك ، وفي ليلة

واحدة انقضوا على قريتهم من جديد ، واسترجعوها .

ستبدو لك الحادثة غريبة ، ولكن هذا هو ما حصل ، لقد عاد الاربعون مقاتلا فاسترجعوا قريتهم المحروقة وتعقبوا عساكر العدو الى قرب مفرق دامون ، ودفعوا ثمن ذلك عشرة رجال .

لقد حدث ذلك ، يا رياض ، في بقعة محاطة بالعدو من كل جانب ، واستطاع الرجال الثلاثون ان يبقوا وراء جدران قريتهم المهدمة يردون الهجمات المتكررة ليلا نهارا ، ولكنه هو ، في ترشيحا ، كان يشم بندقيته قريبة كانها في متناول يده ، واعتقد انه لو انتظر يوما واحدا فقط لاستطاع استرجاعها ، ولعاد ، معها ، الى شعب .

قلت لك ان الاحداث لا تنتظر ، ففي اليوم التالي اكتسح العدو شعب مرة اخرى ، وفر الرجال الذين فقدوا خمسة من مقاتليهم ، الى التلال المجاورة حيث يستطيع ابن البلاد ان يضيع قطيع ماعز .

وقيل له ، يومها ، ان بندقية تشيكية جديدة شوهدت مع رجل عجوز في قرية صغيرة تقع على بعد ساعتي مسير الى الشمال من ترشيحا ، وقد ذهب الى هناك في الليل ، وهناك قيل له ، وهو يكاد يفقد وعيه ، ان مقاتلي شعب الخمسة والعشرين قد انحدروا

اليها تلك الليلة بالذات ، وقاتلوا ببنادقهم وسكاكينهم حتى الصباح وانهم ، مرة اخرى ، استرجعوا قريتهم المزعة وتمركزوا وراء الركام على مداخلها ، وفقدوا ثلاثة رجال .

وراء اخبار البندقية ، من باب الى باب ، قيل له ان العجوز الذي شوهد يحملها قد مضى ، في الليل ، وتسلق الهضبة ذاهبا الى الجنوب ، ربما ، ليلتحق بالمقاتلين الذين بداوا يتجمعون الى الجنوب من ترشيحا بانتظار هجوم حاسم ، ودون ان يضيع لحظة تردد واحدة كر عائدا الى ترشيحا ، فرجال شعب الثابتون وراء استحكامات الدمار في قريتهم الصغيرة المعزولة ينتظرونه ، ثم انها ، لو تعلم ، قريته التي لم يستطع ، حين اجتيحت ، ان يطلق في سبيلها رصاصة واحدة .

ولكن اخبار شعب سبقته الى ترشيحا ، حيث لم يستطع ان يعرف اخبار البندقية : لقد فوجيء المقاتلون المنهكون بهجوم ثقيل ماحق ، وفقدوا وهم يتراجعون سبعة رجال ، وحملوا معهم اربعة جرحى ، واختفوا في التلال .

وفيما كان هو على حافة الجنون يتسقط ، كما لو انه بين نصلي مقص ، اخبار بندقيته من جهة واخبار شعب من جهة اخرى ، انحدر ما تبقى من مقاتلي تلك القرية الصغيرة ، بعد ساعتين فقط من تراجعهم ، واكتسحوا القرية مرة ثالثة مثل لمح البصر ، ومرة ثالثة ايضا تمركزوا فيها ، بعد ان الحقوا خسائر حقيقية بالعدو وغنموا مما خلفه سلاحا وزادا .

لست ادري من الذي قال له ، في ترشيحا ، انه لو استطاع العودة الى شعب بكفيه العاريتين لاستطاعوا هناك تزويده بالسلاح الذي يريد ، ولست ادري ان كان هذا القول قد راقه اولا ، ولكن الذي ادريه هو انه ، تلك الظهيرة القائظة ، شاهد بندقيته فجاة على كتف رجل ، قريبا من الساحة .

وكما تمسك بها يوم انتزعها باسنانه من قبضة القتيل شدها اليه وهي لما تزل معلقة على كتف الرجل ، وحين استدار هذا الاخير ، مذهولا ، وشهد امامه ذلك الرجل الطويل الصلب ذي النظرات القاسية والوجه المنهك اكتشف ، اغلب الظن ، انه على ابواب عراك فثنى كوعه حول حزام البندقية ومد ذراعه الاخرى لتحول دونه ودون العملاق .

اما هو فقد كان غير قادر على الكلام ، قيل لي انه كان يبكي ، وكان يرتجف كالمحموم . لقد مضت شفتاه الجافتان تتمتمان كلاما ليس بالوسع فهمه ، وامامه كان الرجل الاخر بلحيته الدقيقة وعينيه الفائرتين قد عقد العزم على المضي بالعراك الى احدى نهايته .

— هذه مرتينتي !

قالها بعد جهد لا يصدق ، بصوت مبحوح محشرج ، وطفقت عيناه تحدقان الى الرجل العجوز كانهما تنتظران

الاعتراف ، الا ان العجوز الصعب صرخ بوجهه :

— مرتينتك ايها النصاب ؟ لقد دفعت ثمنها من حلالي قبل يومين فقط .

وتساءلت العينان في وجهه ، فقد كان مستحيلا ، بعد ، ان يتكلم ، وجاءه الجواب :

— من حلالي ! اشتريتها امام خمسة شهود من ضابط باعها لي ، وهو يتجه الى الشمال ، بمئة جنيه .

وارتخت قبضتيه عن جسد البندقية ، الا انه لم يتركها تماما ، وبدا انه ، في لحظة واحدة ، سيتهاوى ، ولكنه بذل مزيدا من الجهد وهمس :

— اريدها لاعود الى شعب .

— شعب ؟ لقد احتلها اليهود مرة اخرى قبل قليل .

ترك البندقية ، فضمها العجوز الى صدره بقوة وتراجع خطوتين ، وحين اطمان تماما الى انه لن يفقد سلاحه ساله :

— هل كانت هذه المرتينة لك ؟

وهز رأسه ، يائسا الى النهاية .

— ودفعت بها مئة جنيها ، مهر ابنتي الوحيدة ، لقد رفضت كل عمري ان ازوجها لذلك العجوز النتن ، ولكن ماذا تريدني ان افعل الان ؟ لقد دفعت مئة جنيها ، دفعتها ، بعد ربع ساعة فقط ، ثمنا لهذه التشيكية .

وبهدوء استدار ، كشيء محطم ، ومضى ، كانت تلك هي اخر مرة شوهد بها في ترشيحا ، وليس يدري احد الى اين ذهب ، وعلى اي حال فانه ، لو ذهب شمالا ، لكان من المؤكد انه سمع ، قبل ان تتيسر له مغادرة الحدود ، ان رفاقه العشرة الذين تبقوا من مقاتلي شعب قد هبطوا التلال بعد يومين ، وبسلاحهم اليسير استرجعوا تلك القرية الصغيرة المهدمة مرة رابعة .

لم اهتد بعد الى اسم العروس التي بيعت ثمنا للبندقية ، ولم اعرف بعد ماذا فعل العجوز بتلك البندقية الجديدة وكذلك فانا لا اعرف كيف انتهت قصة شعب ، وكيف انتهت اخبار اولئك الرجال الاربعين الذين ذابوا بالتدريج ، كما تذوّب النار قطعة دهن .

أهو الرجل الوحيد الذي تبقى من مقاتلي شعب ؟ ربما ، لست ادري في الواقع ، ولكن يخيل الي ان هذا هو السبب الذي جعل منه رجلا غريبا ينتابه احساس ثقيل بانه ما زال يبحث عن بندقية ضائعة ليلتحق بالرفاق الذين كانوا ينتظرونه في القرية المهدمة .

★★★

ولكن ، يا عزيزي رياض ، لماذا لا تفتش معي عن ذلك الرجل ؟ انه رجل طويل جدا ، صلب جدا ، لا اعرف اسمه ، ولكنه يلبس بدلة خاكية قديمة ، ويبدو كانه محاط برذاذ مضيء ، ويلوح لاول وهلة ، حين يستوقفك ليسالك : هل رأيت العروس ؟ يلوح كانه مجنون .

ابحث معي عنه ، حيث انت ، فلدي اخبار جديدة عن « العروس » .

بلادك

طبريا

سميت مدينة طبريا نسبة لملك الروم طيباريوس الذي بناها واشاد سورا حصينا حولها ، ينسب اليها سليمان بن احمد بن يوسف الطبراني أحد الائمة المعروفين الذي توفي سنة ٢٦٠ هـ . (٨٧٣) م . ذكرها اليعقوبي في تاريخه فقال: انها مدينة الاردن ماؤها عذب وأهلها من الاشعريين .

فتحها صلاح الدين الايوبي في ١٣ ربيع الاخر ٥٨٣ هـ . (١١٤٧) م . اي قبل انتصاره في موقعة حطين بيوم واحد وهو الذي دمر سورها بعد ذلك بثلاث سنين ، ولقد اغار الصليبيون عليها مرارا وكثيرا ما تبادلتها ايديهم وايدي العرب وافتتحها ايضا الملك الظاهر بيبرس ، وعندما جرت الهدنة بين الملك المنصور قلاون وملك الصليبيين « انجوس » في عكا ٦٨٢ هـ . «١٢٨٣»م واقتسم الفريقان البلاد ، كانت طبريا من نصيب العرب .

تقع طبريا في القسم الشمالي الشرقي من فلسطين وتفصل بينها وبين الاردن بحيرتها المجاورة لها ، ويبلغ طول البحيرة اثنا عشر ميلا وعرضها ستة اميال . بلغ تعداد سكان طبريا في عام ١٩٤٥ حوالي ١٢ الف نسمة نصفهم من العرب والنصف الاخر من اليهود . لقد اشترك عرب طبريا في عدد من المعارك مع حكومة الانتداب البريطاني

وقد قاتلوا ايضا ببسالة في جميع المعارك التي وقعت بينهم وبين اليهود ، وكان زمام المبادرة حتى بداية النصف الاخير من شهر نيسان ١٩٤٨ في ايديهم حيث وقعت عدة معارك منها ان شن اليهود هجوما بزهاء اربعمائة مقاتل يهودي على الاحياء العربية في طبريا بشكل مباغت الا ان عرب طبريا وقفوا سدا منيعا في وجه المهاجمين ولم ييأسوا ولم يهنوا بالرغم من أنه لم يكن في طبريا عند صدور قرار التقسيم اي نوع من

انواع السلاح لان الحكومة البريطانية في فلسطين انذاك كانت تضع القوانين الصارمة بحق من يصادر من بيته اي نوع من انواع السلاح ، كل هذا لم يمنع عرب طبريا من القتال وصد الهجوم بمختلف الوسائل الدفاعية التي توصلتها أيديهم .

أما بعد ذلك فقد تطور وضع القتال في طبريا لمصلحة اليهود وذلك بمساعدة رجال الجيش البريطاني اولا بأسلحة اليهود الثقيلة ، ثانيا بتدفق رجال منظمة الهاجناه من المستعمرات والمدن المجاورة حيث قاموا باخر هجوم مركز تلا سقوط المدينة على الاحياء العربية حيث أحتلوا فندق « غروسمان » وبنك باركلس وجزءا كبيرا من الاحياء العربية وقد قام هذا الهجوم بضخامته وعنفه تحت سمع وبصر قوات الانتداب البريطاني التي كانت تعسكر في قلب المدينة وهنا جاءت مهمة المسؤولين البريطانيين مهمة اقناع عرب طبريا بالنزوح عن المدينة بكل الوسائل .

وهكذا سقطت طبريا في ١٩ نيسان ١٩٤٨

الى المحرر ــ ملحق فلسطين

بعد اطلاعي على الاعداد التي صدرت من مجلتكم « فلسطين » ، وشعوري بأن هذا المشروع يجب ان يستمر ويتطور ، ومشاركة مني بالجهود التي تبذلونها لنشر وعي فلسطيني قائم على اسس علمية مدروسة فانني ارسل لكم مع هذا اشتراكي الرمزي راجيا اعتباره اسهاما في مشروعكم ومحاولة لدعمه ودفعه في طريق النمو والتطور .

طيه حوالة بمبلغ .... فقط / هو قيمة تبرعي / اشتراكي , عن نصف سنة سنة في فلسطين .

ارجو ان استلم ما يشعرني بوصولها .

التوقيع

الاسم :

العنوان :

في السوق

عالم ليس لنا

غسان كنفاني

كلمة اخرى

كانت الشيخوخة تمتصه ببطء ، تحفر في وجه خنادق كأنها سيول جبلية تشق طريقها في الطين ، وكان وجهه كالارض ، ايضا ، الارض التي انقطع عنها الماء ستة عشر ربيعا ، انهكها الجفاف وكاد يفتتها .

منذ اجبر على ترك ارضه بدا لنا جميعا كأنه حملها في وجهه الصارم ، لقد كان مستحيلا تماما على شيخ مثله : ولد وعاش ونما وشب وشاخ فوق ارض حرثها وزرعها وحصدها بحبات عينيه ، سنة وراء سنة ، كان مستحيلا تماما على شيخ مثله ان ينخلع عنها لمجرد انه اجبر على تركها .

كان يقف كل صباح طويلا امام عناوين الصحف ، ينقبها بعينيه الصغيرتين الغائرتين كأنه يحرث كلماتها حرثا ، كانت اصابعه الطويلة الراجفة قد اعتادت مفتاح الراديو فلا يفوته نبأ ، وكان اذ يرى او يسمع كلمة فلسطين تنفرج اساريره وتجتاحها موجة استثارة لا تصدق ، كأنه على ابواب مغارة الكنز .

وكان اذ يسمع كلمة « فلسطين » على السنتنا ينتشق نفسا عميقا ، كأنه يشمها ، كأنه يطوي رئتيه فوق نسيم مجهول ، جاءه من حيث لا يدري احد ، عبر عشرات من الاميال ، حاملا معه رائحة الزيتون الذي نشأ ، هناك ، على سفوح الجليل ، من تحت زنديه .

★ ★ ★

وسقط الشيخ ذات يوم ، حاول ان يقوم عن فراشه فلم يستطع ، كان حمل السنين فوق كاهليه الهرمين قد صار اثقل من ان يرفعه ، وجسه الطبيب بامعان ، وقال لنا حين خرج من الغرفة :

ــ لقد انتهى هذا العجوز ، لقد حطمته السنوات الطويلة التي عاشها واغلب الظن انه لن يرى الغد .

وعدنا اليه حيث كان فوق سريره قطعة لم تستطع ايدي القدر الطاحن ان تفصلها عن بلاده ، رغم التمزع ، لقد استدار على جنبه ، ثم ابتسم ، واشار لنا ان نخطو اليه .

وحين اقتربنا منه همس :

ــ مجنون هذا الطبيب ، انه يعتقد انني سأموت ... ولكنه لا يعرف شيئا .. انني غير مستعد للموت قبل ان ارى عكا مرة اخرى .

ومرة اخرى نظر الينا :

ــ انتم لا تصدقون ، ولكنكم سترون باعينكم ، انا لا اريد ان اموت قبل ان ارى عكا مرة اخرى .

★ ★ ★

وقد رأينا باعيننا كيف قام من فراشه بعد يومين ، وما زلنا نراه في عراك لا يصدق مع الشيخوخة ، تلتمع في عينيه الغائرتين بروق امل لا يقاوم ، ينتظر ، بلا لحظة شك واحدة ، يوم يعود .